حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
دورية تصدر كل شهرين
www.hiragate.com
السنة الحادية عشرة
رجب ١٤٣٧هـ / (مايو - يونيو) ٢٠١٦م

رجل الشتات

أنت جمالُ مَظهرٍ، وروحك في الغير مبعثر..
وجدانك شتات، وقلبك أهواء،
وصحائف عمرك ملاعب الرياح من كل مكان..
شتاتُك متى تَلُمُّهُ، وكُلُّك متى تمسكه؟
وغدًا إذا نوديتَ "مَنْ أنت"؟
فَبِمَ تجيب؟

* * *

العذاب المقدَّس
فتح الله كولن
٢

لماذا الخوف من الإسلام؟
صالح بن محمد آل طالب
١٧

ما أصعب الاستقامة في منطقة الوسط /
د. فؤاد البنا
٣٣

روافد الروح

"العذاب المقدَّس" هو من أروع ما كتبه قلم الأستاذ فتح الله كولن، ومن حقه أن يتصدَّر هذا العدد من "حراء". فهو في هذا المقال يتابع الإنسان في عذاباته وتجاربه الروحية والذهنية، وفي سيَرانه وتعثراته، وفي نجاحاته وإحباطاته.. إنه لا يكون ذهبًا مصفّى إلا إذا أُدخل بوتقة الاختبار، ولا يجود ويثمر ويزهر ويعطي إلا إذا دُسَّ تحت تراب المحن كأي نبات من نباتات الأرض. وهو يرى في هذا المقال أن العبقريات الإنسانية التي كان لها الأثر المعلوم في بناء الأفكار وإقامة أسس الحضارات، انبثقت من تحت رماد النيران التي اكتوت بها وعانت منها صنوف العذاب.. فهو عذاب مقدّس لا يتحمله إلا أصحاب الرسالات الكبرى والدعوات العظيمة المكرَّسة من أجل الإنسان الذي يُراد له أن يرتفع إلى المقدّسات الخلُقية والسلوكية والفكرية.. فهو عذاب مقدَّس من أجل إنسان طاهر نزيه يُراد له أن يكون مؤهلاً لقيادة الأمم والشعوب إلى روافد الروح والإيمان.

وعن "المسافة بين القول والعمل" يكتب "سلمان العودة" مقالاً غاية في الأهمية، يعالج فيه مشكلة كثرة الأقوال من دون الأفعال، علمًا بأن القرآن الكريم يقرن في غالبية آياته بين القول والعمل. فالقول بلا عمل هو واحد من الآفات التي يقع فيها الكثير من المؤمنين.. فهو يدعو في هذا المقال إلى ضرورة أن يكون العمل مرادفًا للقول.

ويتحفنا إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة الشيخ صالح بن محمد آل طالب بمقال كريم بعنوان "لماذا الخوف من الإسلام؟" يناقش فيه خطأ أولئك الذين يتخوّفون من الإسلام إلى أن يقول: "وإنك لتأسى حين تجد الكثيرين ينظرون بتسامح كبير إلى ديانات وثنية، ولكن في حالة الإسلام فإنّ ردّ الفعل تجاهه لا يكون عقلانيًا وإنما يكون عاطفة سلبية عارمة".

وعن "إسطنبول العثمانية" وما تزخر به من ذكريات وتقاليد ولا سيما في رمضان المبارك يكتب "محمد بهادير دوردنجي" مقالاً يتحفنا من خلاله بنفحات رمضانية، هذه النفحات التي تنبعث من قصور سلاطين آل عثمان وعن تقاليدهم المتوارثة في استقبال هذا الشهر الفضيل. و"أديب إبراهيم الدباغ" يكتب تحت عنوان "الإنسان والإيمان" مقالاً متسمًا بشفافية أدبية، حيث يلامس روح "فتح الله كولن" ووجدانه فيما يراه عن علاقة الإنسان بالإيمان.

وفي مقاله "ما أصعب الاستقامة في منطقة الوسط" يكتب "فؤاد البنا" عما يعانيه دعاة الوسطية من مشاكل ومناكفات من الذين لا يروق لهم مصطلح الوسطية من المتطرفين نحو اليمين أو اليسار. و"العقيدة عطاء.. من الركود إلى الفاعلية" يكتب "العطري بن عزوز" تحت هذا العنوان عن فاعلية العقيدة في فكر المؤمن وفي سلوكه وانبعاثه الإصلاحي في كل مناحي الحياة.

وفي القسم الثاني من بحث "أحمد عبادي" "العلوم الإسلامية والسياق الكوني المعاصر" يكتب عن العوائق التي تعمل على تأخير المسلمين، وعدم مواكبتهم للسياقات الكونية المعاصرة، حتى يجعلها سبعة عوائق ثم يمضي فيقول: "فحين ذهلنا عن هذه المنهجية في التعاطي مع تاريخنا أصبحنا نجعل كل فترات هذا التاريخ نموذجية تتركب بعضها على بعض".

و"عبد الله بن عبد العزيز المصلح" يكتب عن "التوازن في شخصية الرسول ﷺ" مستشهدًا على ذلك بجملة من الأحاديث الشريفة التي تشي بهذه الموازنة فيقول عنه: "إنه اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف.. ولم تجتمع كل المبادئ الطيبة إلا في شخص الرسول ﷺ في البيت والقيادة والأخلاق والعبادة وسائر أوجه الحياة التي استنارت بمبعثه".

بالإضافة إلى مقالات قيمة أخرى تفتح أمام القارئ آفاقًا فكرية واسعة شاسعة.

المحتويات

العذاب المقدَّس / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
عملاق الغيب / حراء (ألوان وظلال)	٤
وداعًا أيها النسيان / د. مروة عزمي مختار جنينة (علوم)	٥
المسافة بين القول والعمل / د. سلمان العودة (قضايا فكرية)	٩
الخوارزمي.. قامة عالمية في الرياضيات / صلاح عبد الستار الشهاوي (تاريخ وحضارة)	١٣
لماذا الخوف من الإسلام؟ / صالح بن محمد آل طالب (قضايا فكرية)	١٧
جهود النورسي في خدمة القرآن الكريم / البشير أسعير (قضايا فكرية)	٢٠
ذكريات رمضانية من إسطنبول العثمانية / محمد بهادير دوردنجي (تاريخ وحضارة)	٢٤
ووضع الميزان / أسامة سعيد محمد (علوم)	٢٩
الأقفال والمفاتيح / حراء (ألوان وظلال)	٣٠
الإنسان والإيمان / أديب إبراهيم الدباغ (أدب)	٣١
ما أصعب الاستقامة في منطقة الوسط / د. فؤاد البنا (قضايا فكرية)	٣٣
أثر الخمول والاندفان على تألق اللؤلؤ والمرجان / د. عبد الإله بن مصباح (علوم)	٣٥
وهل يصوم الحيوان؟ / أ.د. ناصر أحمد سنه (علوم)	٣٩
العقيدة عطاء.. من الركود إلى الفاعلية / د. العطري بن عزوز (قضايا فكرية)	٤٣
علومنا الإسلامية والسياق الكوني المعاصر (٢) / أ.د. أحمد عبادي (قضايا فكرية)	٤٦
النور والظَّلام / حراء (ألوان وظلال)	٤٩
الهمُّ رحِمٌ بين أهله / د. طه كوزي (قضايا فكرية)	٥٠
القلب المؤمن / جمال أمين (أدب)	٥٤
حركية وأخلاق النخبة العلمية / أبو نصر شخار (قضايا فكرية)	٥٥
تضرُّع أمل / حراء (ألوان وظلال)	٥٨
التوازن في شخصية الرسول ﷺ / د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح (قضايا فكرية)	٥٩
متاب / أ.د. حسن الأمراني (شعر)	٦٣

العذاب المقدَّس

١

الإنسان مغترب رحّال، هبط إلى الدنيا في "رحلة" شاقة عبر "طريق" طويل ممتد؛ محفوف بالمخاطر والويلات، عصيّ المسالك والدروب، تعترضه جبال شاهقة ووديان سحيقة. وذلك ليكتشف ذاته، ويقف على حقيقة جوهره.

في هذا "الطريق" الطويل الذي لا يدري عنه شيئًا، تراه يتصدى للمخاطر، ويواجه التحديات، ويصارع الأهوال، ويتخطى السدود والعقبات للوصول إلى تلك "الغاية". بيد أن "رحلة" كهذه، لا تُقدَّر إلا مرة واحدة في الحياة لبني الإنسان، وما من سبيل لمن طلب "الخلود" سوى هذه "الرحلة" الوحيدة.

والحقيقة أن هذه الرحلة ليست رحلة إنسانية فحسب، بل هي قدر كل كائن حي منذ اللحظة الأولى التي يخرج فيها إلى الوجود. أجل، كل كائن لا يزال يُصَبّ في قالب ويُفرَغ في آخر، ويتنقل من صورة إلى أخرى دون أن يتوقف لحظة واحدة حتى يصل إلى

الصورة التي تليق بجوهره وتوافق مكنونه وتعبر عن حقيقته، بل وربما يتحول إلى كيان آخر. وطيلة هذه الرحلة يقاسي من الآلام ألوانًا ومن المكابدات أصنافًا، ويموت ويحيا في اللحظة الواحدة مرات عديدة.

إن المياه لا تتبخر ولا تتصفّى ما لم تُمتحَن بلفحات حرّى. وإن الحبة لا تُنبتُ سنابل تنبض بالحياة ما لم تتآكل تحت التراب، وتتقلّص ثم تنفلق. وإن مياه الأنهار لا تَشِفّ وتَعذُب وتترقرق حتى تصير نِدًّا للقطرات في عيون السحاب ما لم تتدفق صاخبة هدّارة، ترتطم بهذه الصخور مرة، أو بتلك أخرى.

كذلك الربيع لا يأتي قبل حلول الشتاء بصقيعه وثلوجه.. ولو أتى فهل سيُعرَف قدْرُه؟ الذهب مدين في قيمته وبريقه إلى البوتقة التي صُهر فيها، والفولاذ مدين في صلابته ومتانته إلى الإناء الذي أُذيب به.

وكذا التربة المتحجرة لن تنتفض من رقادها ما لم تُرعِد السماءُ فوقها وتُبرق. فإذا اهتزّت وربَتْ ودبّت فيها الحياة، ارتقت إلى مقام الأم الحاضنة لآلاف الزهور والورود.

الظلمات تؤوي في أحشائها الأنوار وإن كان في ذلك حتفُها، والشتاء يحرّك مكّوكه دومًا لصالح الربيع. لذلك يَعقُب كلَّ شتاءٍ ربيعٌ، ويتلو كلَّ ليلٍ نهارٌ. فبعد كل موتٍ حياةٌ، وبعد كل معاناةٍ سعادةٌ وهناء.

إن الفرد لا يبلغ "الخلود الروحي" إلا حين يتقلب بين أهوال الموت والحياة خمسين ألف مرة طيلة حياته، وحين يتخلص من الضغوط المظلمة المضلِّلة الخادعة لد"أنا". وكذا الجماعة لا تنضج ولا تكتمل ولا تبلغ أفق "الخلود" إلا بالمعاناة ومقارعة المحن ومصارعة الأهوال.

يا لَسعْد مَن تجرع العلقم وواجه المنايا مرة بعد مرة بغية الوصول إلى "الوجود الأبدي".. ويا لَطيب من اعتبر كل هِزّة تحذيرًا أفاقه فاستعاد وعيَه.. وما أعظمها من بطولة تلك التي حافظ فيها على بريق أمله وسط ألف ظلمة ومحنة، فسار قُدُمًا نحو المستقبل يضمه إلى صدره!

إن السعداء الذين يعيشون حياتهم بإيمان ووعي، يتجاوزون "ديار المحنة" هذه وبحارها الغاصّةَ بالقيح والدماء مرفرفين بأجنحة آمالهم المحلِّقة، ومستنيرين بضوء أفكارهم المشرقة. أولئك يعلمون أنهم إنما

إن الفرد لا يبلغ "الخلود الروحي" إلا حين يتقلب بين أهوال الموت والحياة، ويتخلص من الضغوط المظلمة المضلِّلة الخادعة لـ"أنا". والجماعة لا تنضج ولا تكتمل ولا تبلغ أفق "الخلود" إلا بالمعاناة ومقارعة المحن ومصارعة الأهوال.

جاؤوا إلى هذه الدار الفانية للنقاء والصفاء.. يعلمون أن جلودهم قد تُسلَخ في هذه السبيل، وأنهم قد يُعلَّقون على أعواد المشانق. فالقهر واللطف عندهم سِيّان، والدواء في قلب الداء. هم ينظرون إلى ما يُلمّ بهم بنشوة وإعجاب، لا يرتبكون مطلقًا. كل مصيبة جديدة ريشةٌ تلامس أوتار قلوبهم، تثير فيها نغمًا شجيًّا، وتُلهب فيها أشواقًا دفينة، وتزيدها توقّدًا وحماسًا.

الأعاصير التي تهز قمم الجبال الشاهقة هي عين الهموم التي تضطرب في رؤوسهم. بل إن حياة خالية من الهمّ والمعاناة عذابٌ لا يطاق في نظرهم، بل هو الموت بعينه، ولا سيما إذا كانت أمتهم مثقلةً بالجراح، والقيمُ الروحية تتعرض لضربات مدمرة باستمرار.

إن عباد الحق الأرفعَ شأنًا ﷺ لم يَسْلَموا من "بلاء الهمّ" ولو للحظة. وكذلك الهداة الأخيار الذين قادوا أممهم وأخرجوها من الظلمات إلى النور. فها هو أبو حنيفة النعمان ﷺ؛ ذاك الذي خلّد اسمه بين العلماء المرشدين على مستوى التاريخ البشري.. وذاك الذي لا تزال اجتهاداته الفريدة وأفكاره الفذة تحافظ على جدتها وطراوتها.. أُهين بوقاحة وألقي في غَيابة السجون، وتقلب بين معاناة وأخرى. وها هو الإمام أحمد بن حنبل ﷺ قد عومل معاملة المجرمين، وتعرض لأسوء أنواع التعذيب سنين طويلة. وها هو الإمام السَّرَخْسي الذي أُودع في قاع البئر مسجونًا حتى اضطر لتأليف موسوعته الفقهية الضخمة (المبسوط) في قلب ذاك القاع، وآخرون وآخرون.

تلك "الأرواح الناضجة"، كان كل عذاب تتعرض له يعصرها عصرًا، يَسمُق بهاماتها إلى ما فوق السماوات، يحوّل قلوبها المتلألئة بالأنوار إلى مصدر إشعاع أبدي

hiragate.com

يضيء سبل انبعاث أممهم. فـ"كامبانيلا" في سجنه، و"سرفانتس" في أسره، و"دوستويفسكي" في قيوده.. كل هؤلاء اكتشفوا ذواتهم هناك، وتربعوا على عرش الخلود في قلوب شعوبهم.

على كل من يرغب في أن يكون حمّالاً لفكرة "خدمة الإنسانية" أن يعلم أن مهمته مقدَّسة، وسفره طويل، ومسالكه عصيّة.. وأنه إذا سار في هذا الدرب، فسوف تعترضه ألوان شتى من المصائب والأهوال، ويَفْجَؤه الموت بوجهه الكالح في كل منعطف، وتصفعه الألسنة بأبشع الشتائم كأنه مجرم شقي، بل ويُحرَم من أدنى حقوق المعيشة الإنسانية في كثير من الأحيان. أجل، ينبغي أن يعلم ذلك ثم يحسِم أمره في خوض هذا الطريق؛ وإلا توشك بعض النفوس الضعيفة التي لم تُقلَّب على نار المعاناة أن تَنقض عهدها، فتغير طريقها أو وجهتها جراء إشكال تافه أو حرمان بسيط.

آه أيتها الروح المسكينة! تريدين أن ينزل المطر دون أن تُرعد السماء؟! وأن تخضرّ الديار بلون زُمرُّديٍّ خلاّب دون أن تتآكل نواة واحدة أو تُهدَر حبة واحدة؟! وأن تلد الأمهات دون تألم أو صراخ أو أنين؟! أم تريدين لهذا الكون الممتد الفسيح وهذا النظام الهندسي الحكيم أن يتحرك وفق عبقريتكِ الهندسية؟!

كلا، كلا.. إنكِ لم تأت إلى هذه الدنيا للمتعة واللهو، والسعي وراء أهوائك ورغباتك؛ بل سوف تُصهَرين في بوتقة بعد أخرى، وتُعرَضين على النار مرة بعد مرة، وتَذوقين الويلات والأهوال ليل نهار، وتتعرضين لأشد أنواع المحن سنين وسنين، لكي تتفتّقَ مواهبُك الإنسانية وترقى، وتتبرعم المكارم السامية الكامنة في ماهيتك وتتفتح بالجمال، ويتنور قلبُك فيصبح مرآة صقيلة تعكس آثار الحق ﷻ بجلاء.

نعم، هذا هو الطريق، وتلك هي سنته.. وما عدا ذلك ضرب من خيالٍ واتباعٌ للهوى. ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٣٩).

أيّ نفَس هذا الذي يبعث الحياة في القلوب؟! ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة سيزنتي التركية، العدد:٥٣ (يونيو/حزيران ١٩٨٣). الترجمة عن التركية: نوزاد صواش.

عملاق الغيب

على الأرض عملاقٌ مشَى،
من وراء الغيب أَتى..
وعلى صخرة الوجود بصماتُه منقوشة،
وإلى بستان الأبدية شَقَّ الطريق،
والدربَ عَبَّد، والعوائق أزاح،
ويدُه المباركة قطافَ الجنَّة نالتْ،
وبمياه الخلد اغتسلت؛
ذاك هو النبي الرسول ﷺ..
كم من رجل على الطريق سقط،
وآثارُه انْمحت..
أما هو، فيظلُّ على الزمان قائمًا لا يَريم.

* * *

د. مروة عزمي مختار جنينة*

وداعًا أيها النسيان

النسيان هو عبارة عن فَقْد التذكر، أو عدم إمكانية استرجاع المعلومة عند الحاجة إليها. وقد أنعم الله على الإنسان بذاكرة قوية وقدرة خارقة على الحفظ، ووهبه عقلاً لم يتمكن العلماء حتى الآن من معرفة أسراره. فيحتوي مخ الإنسان على قرابة عشرة بلايين خلية عصبية، وكل خلية منها على علاقة بما يقارب العشرة آلاف نقطة عصبية. وهناك مقولة معروفة تقول إن "العقل السليم في الجسم السليم"، هذه المقولة أطلقها الفيلسوف اليوناني الشهير أفلاطون، وكان يقصد بها أن سلامة الجسم هي المحرك الأساسي لعقل يتميز بالذكاء والحكمة.

ولمخ الإنسان سعة محددة لا تسمح بتزاحم وتكدس المعلومات والأحداث بداخله، ولذلك عند إضافة معلومة جديدة للعقل يبدأ تلقائيًا بمحو أول معلومة تم تخزينها فيه. لذا فمخ الإنسان مثل سائر أعضاء الجسم؛ يحتاج إلى مواد خاصة تساعده على إتمام عملياته الحيوية، وتجديد نشاطه، والقدرة على التذكر واسترجاع المعلومات المخزنة فيه.. كما أن المخ يحتاج إلى عوامل تساعده على تنشيط الذاكرة، وتقلل من درجة النسيان التي قد تصبح مرضية بسبب إهمالنا لاحتياجات المخ الغذائية، أو اتباع العادات السيئة؛ مثل عدم النوم لساعات كافية ليلاً، والتدخين، وإدمان

الكحولات.. وكذلك الاعتماد على الأجهزة الحديثة في تذكر الأعمال الهامة اليومية، مما يؤدي إلى إهمال تنشيط خلايا المخ، ومن ثم يؤدي ذلك إلى كثرة النسيان.

كيف ننشِّط الذاكرة؟

أ– ممارسة الرياضة: والمقصود هو ممارسة أي نشاط بشكل منتظم ليحرك الدم في الجسم، ويصفي الذهن والعقل، وينقي الجسم من السموم.. وأيضًا ممارسة الرياضة تزيد من كمية الأكسجين الواصل إلى خلايا الجسم ومن ضمنها خلايا المخ. وأبسط هذه الرياضات هي ممارسة المشي -على الأقل نصف ساعة يوميًّا- أو ممارسة التمارين الرياضية الاعتيادية اليومية في البيت، أو ممارسة أي نشاط رياضي في النوادي الرياضية بمعدل نصف ساعة يوميًّا على الأقل.

بـ– النوم: يشكل النوم -لساعات متواصلة، وفي وقت محدد قدر الإمكان ليلاً من ٦-٨ ساعات- وسيلة إيجابية للجسم وللمخ وبالتالي للذاكرة. أكد العلماء أهمية النوم العميق في شحن الذاكرة ودعم القدرة على تعلم اللغات. وقدم باحثون بجامعة "شيكاغو" دليلاً يبين أن نشاط الدماغ أثناء النوم، يعزز من قدرات ومستويات التعلم. وإن للنوم تأثيرين اثنين -على الأقل- على التعلم، فهو يقوي الذاكرة ويحميها من التشويش أو التآكل، بالإضافة إلى أن النوم ينعش أو يستعيد المعلومات القديمة.

جـ– القراءة: يتم تنشيط الذاكرة وتمرينها بالقراءة والمطالعة أيضًا، ومحاولة حل بعض الألغاز العامة، وممارسة بعض الألعاب التي تحتاج إلى التفكير وتنشيط المخ مثل لعبة الشطرنج والكلمات المتقاطعة، والألعاب

التي تعتمد على الأرقام وحفظها شفويًّا دون كتابة.

د– التقرب إلى الله: وذلك بالصلاة، وقراءة القرآن، وزيادة التسبيح.. فإنها تساعد المخ على حفظ المعلومات بشكل جيد، واسترجاعها وتذكرها وقت الحاجة إليها.

هـ– الغذاء: مخ الإنسان مثل سائر أعضاء الجسم، يحتاج إلى مواد غذائية تساعده على إتمام عملياته الحيوية وتجديد نشاطه، والقدرة على التذكر واسترجاع المعلومات المخزنة فيه. بالتالي فإن المخ يتأثر بالعناصر الغذائية التي يتناولها الإنسان في غذائه عن طريق إنتاج ما يسمى بـ"الموصلات العصبية"، وهي مواد كيميائية تنقل الإشارات والتعليمات بين الخلايا العصبية، وتؤثر في الذكاء والتفكير والإبداع والمزاج والقدرة على الاستيعاب والاحتفاظ بالمعلومات، وتذكر واسترجاع المعلومات المختزنة في المخ. وقد تَبيّن أن عند نقص أو عدم توازن هذه الموصلات العصبية، يعاني الإنسان من الاكتئاب أو قلة التركيز أو ضعف الذاكرة.. كما أن المخ بحاجة إلى كميات وافرة من بعض العناصر والمركبات الكيميائية الطبيعية الغذائية المهمة لنشاط خلايا المخ ولإنتاج الموصلات العصبية. أهم أنواع العناصر الغذائية اللازمة لنشاط المخ وقدرته على التركيز هي:

١– الأحماض الأمينية: وهي الوحدات البنائية للبروتين، مثل "التريبتوفان"، وحمض "الليسين"، وحمض

hiragate.com

"الفينيل ألانين". والمعروف أن حمض "التريبتوفان" هو أهم الأحماض الأمينية التي تنظم عملية النوم وتساهم في تقوية الذاكرة. أما حمض "الليسين" يؤدي نقصه إلى القلق والعصبية الزائدة. كما أن حمض "الفينيل ألانين" هام جدًّا لإنتاج هرمونات السعادة والموصلات العصبية، وإن نقصه يؤدي إلى الخمول.

٢- فيتامين "ب١": ويدخل في تكوين الخلايا العصبية للمخ، وهو هام للذكاء والقدرة على التعلم. وفيتامين "ب٢"، و"ب٣"، و"ب١٢" ينشط الذاكرة. كما أن فيتامين "ب٩" وهو حمض الفوليك، يدخل في تكوين الخلايا العصبية للمخ والجهاز العصبي.

٣- فيتامين "هـ": وهو مضاد للأكسدة، يحمي المخ من التلف.

٤- فيتامين "ج": ويحتاجه المخ كمضاد للأكسدة أيضًا.

مجموعة من المعادن التي تمنع النسيان: يأتي في مقدمتها الزنك، والسيلينيوم، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والفوسفور، واليود، والماغنسيوم.

١- مركب "أوميجا٣": وهو حمض دهني يدخل في تركيب خلايا المخ. وأثبتت الأبحاث أن نقصه يؤدي إلى الإصابة بمرض الخرف (الزهايمر).

٢- مادة "الكولين": وهي من مشتقات فيتامين "ب"، ومن المواد المهمة أيضًا لخلايا الذاكرة.

٣- الماء: يشكل أكثر من ٨٠٪ من أجسامنا، ويلاحظ أن الذين يقل تناولهم للماء في الصحراء، أول ما يعانون منه؛ تشوش أذهانهم ورؤيتهم لأشياء لا وجود لها.

٤- الأوكسجين: فيكفي أن نعرف أن خلايا المخ تموت إذا انقطع عنها الأكسجين لأكثر من خمس دقائق.

٥- سكر الجلوكوز: فهو المصدر الأساسي لطاقة المخ.

أغذيةٌ تحارب النسيان

عصير العنب: أظهرت دراسة جديدة أن عصير العنب قد يحسن الذاكرة قصيرة الأمد، ويساعد على تذكر الأشياء والأحداث بوضوح، وذلك لاحتوائه على أعلى مستويات من المواد المضادة للأكسدة أكثر من أي نوع آخر من الفواكه والخضروات، ولاحتوائه على نسبة عالية من السكريات اللازمة لنشاط المخ.

عصير القصب: يعالج عصير القصب الاكتئاب، كما أنه يعطي الراحة النفسية، والهدوء، والسعادة؛ حيث يؤدي إلى زيادة تكوين "السيروتونين" وهي المادة الطبيعية المهدّئة التي يفرزها المخ. ويعتبر عصير القصب سهل الهضم وسريع الامتصاص، كما أنه مدرّ للبول فيطرد السموم من الجسم، وبالتالي يحمي المخ من التلوث، كما يساعد على زيادة القدرة على تحمّل المواقف الصعبة، كالضيق والقلق والتوتر والإرهاق.

الزنجبيل والقرفة والشاي الأخضر والمريمية وحبة البركة: تعتبر جميعها من الأعشاب التي تساعد على زيادة التركيز وتحسين أداء المخ. ويتم تناولها كمشروبات ساخنة بدون غلي حتى يستفاد من الزيوت الطيارة

hiragate.com

النافعة الموجودة فيها، ويفضل أيضًا تحليتها بعسل النحل لزيادة الاستفادة منها.

الزعفران: وهو من النباتات المشهورة على مستوى العالم، حيث يؤخذ ملعقة صغيرة منه مع ملء ملعقة كوب من الحليب المغلي، ثم يترك لمدة ١٥دقيقة، ثم يشرب، وذلك بمعدل مرة واحدة فقط في اليوم ولمدة شهر.

اللبان المر (الكندر): وهو من المواد التي تساعد على الحفظ وجلاء الذهن، ويذهب بكثرة النسيان كما ذكر الإمام ابن القيم وغيره. والطريقة أن يؤخذ منه ملء ملعقة وتوضع في كوب ماء، ويترك مدة ثلاث ساعات، ثم يشرب بمعدل كوب واحد مرة واحدة في اليوم.

عين الجمل والصنوبر والزبيب والفستق والفول السوداني: تقوّي الأعصاب، وتزيد الانتباه عن طريق تنشيط الموصلات العصبية الضرورية للحصول على المعلومات.. ولعلاج ضعف الذاكرة الذي يشكو منه الأبناء خلال فترة الدراسة، ينصح بالإكثار من تناولها.

زيت الزيتون: وهو غني بمركب أوميجا٣ الذي يدخل في تركيب خلايا المخ، ونقصه يؤدي إلى الإصابة بمرض الزهايمر. كما أن زيت الزيتون يعمل على التوازن بين نسبة الكوليسترول النافع، ويقلل من الكوليسترول الضار.

البصل: يفيدنا البصل عندما نكون تحت ضغط ذهني وعضوي شديد لفترة طويلة، كما أنه يخفف من لزوجة الدم فيحصل المخ على الأوكسجين بشكل أفضل.

الجزر: يعد من أغنى أنواع الخضروات بعنصر "البيتاكاروتين" المعروف بكونه مضادًا للتأكسد وواقيًا لجهاز المناعة بالجسم. وقد أكدت دراسة أمريكية أن الذين يأكلون الجزر بكثرة وبصورة يومية، أقل عرضة للإصابة بالسكتة الدماغية من الذين يأكلون الجزر مرة واحدة في الشهر مثلاً. ويعتبر عنصر البيتاكاروتين، المصدر الطبيعي لفيتامين "أ" وهو مهم جدًّا للصحة.

السبانخ والفراولة: يؤكد العلماء أن المواد الكيميائية المضادة للتأكسد الموجودة في الفراولة والسبانخ بكثرة، قادرة على زيادة كمية السائل في أغلفة خلايا المخ، مما يسمح للمزيد من المواد الغذائية بسرعة الوصول إلى أنسجة المخ، فتحمي المخ من الضعف والوهن وفقدان الذاكرة المرتبط بالتقدم في السن.

الجمبري والأسماك: وهي غنية بمركب أوميجا٣، التي يحتاجها المخ، وتنشط الحالة الذهنية وتطيل القدرة على الانتباه بشكل جيد، كما أنها غنية بعنصر السيليونيوم اللازم لتنشيط المخ.

البيض: تناول بيضتين يوميًّا، تمد الجسم بنصف جرام تقريبًا من مادة الكولين وهي الكمية الموصى بها؛ ففي دراسات علمية جديدة أجريت مؤخرًا، تَبيّن أن مادة الكولين الموجودة في البيض تساهم في تحسين قوة الذاكرة، وتساعد النساء الحوامل على إنجاب أطفال أذكياء.

التمر: يعتبر التمر من الأغذية المتكاملة الغنية بالعناصر المعدنية والفيتامينات، وكذلك غني بالسكريات اللازمة لتنشيط المخ.

حبوب اللقاح: استخدمت حبوب اللقاح بنجاح تام في علاج الاضطرابات العصبية -ومنها التوتر العصبي، الإرهاق والتعب الشديد- وحالات الانهيار العصبية واضطرابات الذاكرة.

عسل النحل: وهو شفاء لكل الأمراض ومنها النسيان، وينصح بشربه على الريق بعد تخفيفه وإذابته بالماء. ■

(*) قسم الحيوان الزراعي، كلية الزراعة، جامعة المنصورة / مصر.

hiragate.com

د. سلمان العودة*

المسافة بين القول والعمل

كثيرون يعتبرون مجرد انتحالهم لاسم الإسلام كافيًا لتحقيق أمانيّهم ولا شيء وراء ذلك. إنك تعجب حقًّا؛ هذا الدين الذي حملت مضامينه تلك الحفاوة الشديدة بالعمل، وربطت كل أسباب التوفيق والسعادة به، ونزعت عن تاركيه كل صفات الخيرية، ثم يطول الأمل، وتقسو القلوب، ويصبح المسلم في حاجة إلى من يذكره ويؤكد له أن مجرد انتحال الاسم لا يعني شيئًا، ولا يغني شيئًا. هل مجرد ادعاء الإنسان أنه عاقل -مثلاً- أو غني، أو قوي، أو صحيح البنية، أو عالم، أو سعيد.. يجعله كذلك؟ أو يغير من واقعه شيئًا؟ إن مجرد الأمانيّ العابرة والأحلام الطائرة، لا تنفع ولا تدفع إذا لم تكن زادًا ووَقُودًا لفعل الأسباب الشرعية والطبعية، واجتناب الموانع والعوائق والأوهام.

فدعوى "الإسلام"، أو "السنة"، أو "الحديث"، أو "السلفية"، أو "الاتباع".. معيارها صدْق التمثل والعمل، والالتزام الحقيقي ظاهرًا وباطنًا. وهنا لا بد من التفطن لثلاثة أمور:

- إن هناك الأدعياء الذين يكتفون بالاسم ورفع الشعار، ثم ينامون قريري العيون.
- إن هناك من يطبق فهمًا منقوصًا سبق إلى ذهنه، وظنه هو الحق؛ فهناك من يرى الإسلام

عبادةً فحسب، أو زهدًا فحسب، أو قتالاً فحسب، أو ما شاء له تصوره.. ويتمسك بهذا، معرضًا عما سواه.. وقد يرى الإسلام مظهرًا وشكلاً مجردًا دون مضمون حقيقي.

• إن هناك من يفهم الأمر على حقيقته لكنه لا يعمل به. وها هنا لا مشكلة في الفهم والإدراك، لكن المشكلة في التنفيذ.

إن هناك أسماءً صحيحة، وعناوين مقبولة، لكنَّ مجردَ التسمّي بها لا يفيد حتى يضاف إليه العمل والتحقق بالوصف والمعنى، وإلا كان تزكية للنفس بغير حق. وكثيرًا ما يستمسك الناس بالاسم، بل ويتعصبون له، ويغضبون ممن ينفيه عنهم، لكنهم يمعنون في التكذيب العملي لهذه الدعوى العريضة.

وقد كانت آيات القرآن الكريم حاسمة في هذا المقام: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(النساء:١٢٣-١٢٤)؛ النص واضح وصريح، الانتماءات والأسماء وحدها لا تكفي -ولو كانت شريفة وصحيحة في ذاتها- حتى يقترن بها العمل، الميزان مرتبط بـ"من يعمل"، أو "من يعمل"، ولهذا، كان بعض السلف يقولون: إن هذه أخوف آية في كتاب الله تعالى.

يقول الحافظ ابن كثير: "والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، وليس كلُّ من ادعى شيئًا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال إنه على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان". وكلمة الحسن البصري -رحمه الله- مشهورة، وهي التي ساقها ابن كثير في صدر كلامه السابق. ثم هذه الأسماء التي يدّعيها المدّعون، ينبغي فرزها إلى صنفين متمايزين:

الصنف الأول: أسماء وانتسابات مشروعة مطلقًا، والنسبة إليها هي من باب تقرير الواقع، والاعتراف به، وإعلانه، وذلك مثل قول المسلم: أنا المسلم والحمد لله. فهذا انتساب محمود بكل حال، وانتماء شريف عظيم، وواجب على قائله تأييد قوله بفعله.

الصنف الثاني: أسماء وانتسابات شريفة في نفسها لكن لا ينبغي تزكية النفس بها مطلقًا ولا ادعاء تحصيلها، مما يوهم كمال الإنسان، واستيلاءه على الذروة العليا، ومنها لفظ الإيمان، فلا يحسن بالمرء أن يقول "أنا مؤمن" على سبيل التزكية والثناء على النفس، ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله: أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان قول وعمل، فقد جئنا بالقول، ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل فيعجبني أن نستثني في الإيمان، نقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. وحديث ابن مسعود الذي أشار إليه الإمام هو ما رواه ابن أبي شيبة، وأبو عبيد أنه قال: من شهد أنه مؤمن فليشهد أنه من أهل الجنة. وفي لفظ عن الإمام أحمد أنه قال: أنا مؤمن إن شاء الله، ومؤمن أرجو، لأنه لا يدري كيف أداؤه للأعمال على ما افتُرِضَ عليه أم لا. وذلك أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به كله، وترك ما نهى الله عنه كله، فإذا قال: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار، فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع الأوامر وترك جميع النواهي، فهو من أولياء الله، وهو من أهل الجنة، كما قال ابن مسعود.

إذن فترجيح الاستثناء كأن يقول "أنا مؤمن إن شاء الله" أو "أرجو أنني مؤمن"، هو من باب نفي التزكية عن النفس، وعدم دعوى الإيمان المطلق. ولهذا لا يحسن بأحدٍ أن يقول: "أنا مؤمن حقًّا"، أو قطعًا، أو ألبتة، أو عند الله.. لما يشعر ذلك به من دعوى الكمال، وتزكية النفس بالأقوال دون الأعمال. هذا مع أن لفظ الإيمان لفظ شرعي، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾، ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.. فما بالك بالألفاظ الاصطلاحية التي لم ترد في نص كتاب أو سنة، والتي تحمل معنى التزكية المطلقة، كلفظة "أنا سلَفي" -على سبيل التمثيل- أليست أولى بالتقييد والضبط؟ أليست السلَفية قولاً وفعلاً؟ أليست منهجًا وسلوكًا؟ هل أضمن أنني أفهم ما كان عليه السلَف من المعاني والأعمال والأقوال والأحوال؟ أم أضمن إذ فهمتها أنني تمثلتها في واقع حياتي حتى حق لي أن أنتحل النسبة الشريفة هذه؟

أما حين تكون المسألة بيان حال أو تقرير واقع في

hiragate.com

جانب معين، فالأمر يختلف، كأن يقول: أنا على طريقة السلف في الإيمان، أو على طريقة السلف في الأسماء والصفات، أو على طريقتهم في الاعتقاد.. فهذا لا بأس به عندي والله أعلم.

إذن، إن المؤمنين يجب أن يُراعوا أهمية العمل والتحقيق، وليس مجرد الانتساب والدعوى. فمتى يعي المسلمون هذا؟ ومتى يعي طلبة العلم والمنتسبون إلى الدعوة أن التفاخر بالنسبة لا يجدي شيئًا حتى يقترن بالعمل؟ وأن التزكية الشرعية ليست بادعاء وصفٍ محمود -يصدق أو لا يصدق- بل بالتحلّي بنقاء السريرة، وصفاء السيرة، وصلاح العمل، وتدارك العيب، وحسن الخلق، والانحاء على النفس بالملامة، وكمال الصدق مع الله.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(المائدة:١١٩). بل إن شئت فقل: هي المسافة بين الدعوى والعمل. فإن القول الصادق والقول الجاد هو جزء من العمل، هو عمل اللسان، وهو أول عمل شرعي حسّي يقوم به المكلف حين ينطق بالشهادتين معلنًا الدخول في الإسلام.

وعنوان المقال هذا، مقتبس من قصيدة الطغرائي الشهيرة "لامية العجم"، حيث يقول:

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ
مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعَمَلِ.

لكن الشيء الذي أعنيه تحديدًا الآن، هو أهمية العمل كقيمة أساسية في الإسلام؛ لحفظ الدين وعمارة الدنيا، وأن وجوب العمل قاعدة ضخمة مستقرة تحتشد حولها مئات النصوص القرآنية والنبوية.

العمل أساس نجاح الفرد أو فشله، وأساس قوة المجموع أو ضعفه، وأساس السعادة الدنيوية، وأساس النجاة الأخروية. وبالتعبير الشرعي، فـ"العمل الصالح" هو القيمة المعتبرة، والتي تترتب عليها آثارها المحمودة في العاجل والآجل. وهذا العمل الموسوم بالصلاح، هو الذي تتحقق فيه الشروط الضرورية، والتي جملتها:

أ- صلاح النية وحسن المقصد، وهو ما يعبر عنه بـ"الإخلاص".

العمل أساس نجاح الفرد أو فشله، وقوة المجموع أو ضعفه، وأساس السعادة الدنيوية، والنجاة الأخروية. وبالتعبير الشرعي، فـ"العمل الصالح" هو القيمة المعتبرة، والتي تترتب عليها آثارها المحمودة في العاجل والآجل.

حراء

بـ- موافقة السنة والتزام الشرع، وهو ما يعبر عنه أحيانًا بـ"المتابعة" أو بـ"الصواب"، وهما مجتمعان في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(هود:٧).

فحسن العمل يدور على هذين القطبين، أيْ أكثر إخلاصًا لله، وأكثر إصابة للشريعة والتزامًا بالمنهج، ولهذا، لم يأت في النص القرآني التعبير بـ"أيكم أكثر عملاً"، وكلمة الفضيل بن عياض في هذا الباب معروفة، قال في تفسير آية الملك ﴿أَحْسَنُ عَمَلاً﴾؛ أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل، فلا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا.

ولقد حاولت أن أحصي المواضع التي وردت فيها كلمة "العمل الصالح" في القرآن الكريم بتصريفاتها مع المحافظة على اللفظين، فوجدتها نحوًا من تسعين موضعًا. أما كلمة "العمل" مع وصف آخر غير الصلاح، أيًّا كان، أو مطلقة غير موصوفة، فهي أكثر من ذلك بكثير، إنها حسب إحصاء سريع نحو ثلاثمائة وستين موضعًا، ولا يخلو سرد تصريفاتها من فائدة: عمل، يعمل، يعملون، اعمل، اعملوا، عامل، عاملون، عاملة، عمل، أعمال.. إلخ.

إنها إشادة صريحة بأهمية العمل وقيمته وضرورته للحياة، بل وللموت أيضًا. حتى الموت هو عمل يتدخل فيه جانب الإرادة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٢).

ولقد قامت في مدارس الفلسفة الغربية -والأمريكية منها على وجه الخصوص- سوق رائجة حديثًا للاتجاهات التي تهتم بالعمل والإنجاز والأداء، وتعتبر هذه فلسفة الحياة الحقيقية، دعك من الفلسفة التي

hiragate.com

يسمونها "براجماتية" وهي النفعية الواقعية التي تعتبر أن مقياس الحقيقة في المعرفة هو وجود نتائج عملية ملموسة لهذه المعرفة، أيْ أن المعرفة الحقيقية هي المعرفة المفيدة للممارسة، وليست المعرفة النظرية المجردة المقطوعة الصلة بالواقع.

إن تلك الإشادة الربانية بقيمة العمل، تحمل تسفيهًا مباشرًا لاتجاهين جائرين عن المحجة:

• أولهما الاتجاه العامل على غير هدى ولا بصيرة، والذي لا معرفة له بالأسباب الشرعية والطبعية، أولئك الذين يوصف عملهم بأنه سيّء، أو شر، أو حابط، أو خبيث، أو خاسر.. فإن كان هذا العمل دينيًّا، لم يقبل، ولم يرفع، ولم تحصل به نجاة في الدار الآخرة. وإن كان دنيويًّا، لم يؤت ثمرته المطلوبة، ولم يحقق نتيجته المرقوبة، لأنه لم يكن مبنيًّا على نظر صحيح أو تجربة صادقة. ولهذا قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾(الغاشية:١-٥)، وقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾(الكهف:١٠٣).

ويندرج في هذا التيار، كل نحلة أو مذهب أو طريق يضل عن صراط الله، فيعبد الله على جهل وضلال، كالمتعبدين والعاملين الناصبين من أهل البدع. كما يندرج أصحاب المدارس المنهجية التغييرية التي لم تحسن قراءة النواميس والسنن الإلهية، فبنت أسلوبها في العمل والحياة على تلك القراءة الفاسدة، فكان أمرها كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾(النحل:٢٦). وأجلى صورة معاصرة لذلك، الشيوعية بقاعدتها الفلسفية وبنائها السياسي والحضاري الذي تهاوى بطريقة لم يكن يتوقعها أكثر المتفائلين، وعادت إنجازاته عبئًا عليه. كيف يتخلص منها؟ كيف يوقف تراجعها السريع؟ كيف يحافظ على الحد الأدنى منها؟

• أما "الاتجاه الآخر" فهو الاتجاه الراكن إلى القعود وترك العمل، والإخلاد إلى الدعة.. الاتجاه الغافل عن سنن الله؛ فهو يريد أن تأتيه أمانيه طوعًا بلا كدٍّ ولا تعب، وهذا وإن كان صعب التحقق لما في طبع الإنسان من الحركة والفاعلية، إلا أنه متحقق من وجوه أخرى، تبدو في أولئك المسترسلين وراء كل شهوة أو رغبة، المتقنعين تحت اسم أو شعار ظنوا أنه يكفيهم.

فاليهود كانوا يقولون: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾، ثم جاء النصارى فقالوا مثل قولهم وادعوا أنهم ﴿أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، ثم خلف من بعدهم خلف من المسلمين ورثوا الكتاب ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾، نعم، كانت الآية لليهود والنصارى، لكنها للمسلمين واجبة أيضًا؛ إذ السنة واحدة، وكما قال حذيفة ﷺ: نِعْمُ، الإِخْوَة لكم بنو إسرائيل، إنْ كانت لهم كلُّ مُرَّةٍ، ولكم كلُّ حُلْوة.

كما أنه متحقق في أولئك الذين لا هدف لهم ولا غاية يسعون إليها، فهم أسرى للصروف والظروف، والأعمال التفصيلية، والمجريات اليومية، والأحداث الآنية.. لا ينتظم سلوكَهم منهجٌ، ولا يربط بين أعمالهم رابطٌ، غارقون في أعمال ليس لها معنى؛ فأحدهم يعمل في الوظيفة ليسدد أقساط البيت، ويسكن في البيت لينام ويأكل ويشرب، ويشرب ويأكل وينام ليستقوي على أداء العمل.. دوامة آلية ليس لها روح، ولكن الغارق فيها قد يلهو حتى عن إدراك الخلل، بل الخواء الذي يكتنفه. وأبعد من ذلك مهوى، أصحاب المدارس الفلسفية الخاوية، كالسوفسطائية من المتقدمين، والعدميين من المتأخرين الذين يرون ألاّ قيمة للعقل، ولا قدرة له على المعرفة، وما يعده الإنسان وجودًا هو في الحقيقة لا شيء، ويرفضون القيم الأخلاقية، ويَسْعَوْن للهدم دون أن يمتلكوا البديل الصالح.

وكثيرون يتبرمون من واقع معين ويسعون في تدميره، ولا يعنيهم أن يكون البديل عنه هو الفوضى. وعلى حد قول القائل: عليّ وعلى أعدائي. أو قول الشاعر العربي: رُبَّ يومٍ بكيت منه فلما

صِرْتُ في غيره بكيت عليهِ. ■

(*) عالم ومفكر وداعية / المملكة العربية السعودية.

hiragate.com

صلاح عبد الستار الشهاوي*

الخوارزمي

قامة عالمية في الرياضيات

يستخدم كل من يعمل في الرياضيات وأمور الحاسبات الإلكترونية وما إليها كلمة "الغورزم" (Al Gorithm)، وهي استخدام مباشر لاسم العالِم العظيم أحمد بن موسى الخوارزمي، ووضع اسمه على أكبر موقع لارتطام نيزك كبير على السطح الخلفي للقمر (Al Khawarizmi).

يقول عنه المستشرق "جوان فيرنيه" (Juan Vernet) في الجزء الثاني من كتاب تراث الإسلام: "إذا تحرينا الدقة، نجد أن أصل التطور العلمي للرياضيات عند المسلمين يبدأ مع القرآن الكريم، وذلك فيما ورد في القرآن من الأحكام المعقدة في تقسيم الميراث، ولكن الخوارزمي (ت. حوالي ٢٣٢هـ/٨٤١م) يعتبر أول رياضي مسلم كبير، ونحن مدينون له بمحاولة وضع تنظيم منهجي باللغة العربية لكل المعارف العلمية والتقويم. كما ندين له باللفظ الإسباني "غوارزمو" (Guarismo) الذي يعني الترقيم -أي الأعداد ومنازلها والصفر- وهذا اللفظ الإسباني يكتب في الإنجليزية "الجوريزم" (Algorism) أو الجورثم (Algorith)، وهو مشتق من اسم الخوارزمي كما ورد في الترجمة الطليطلية لمصنفه المعروف باسم كتاب الخوارزمي في الأرقام الهندية (Algortmi de Numero İndorum) الذي كتبه في الأصل بعنوان الجمع والتفريق بحساب الهند وقد ضاع أصله".

لقد حدد المسلمون الشكل النهائي للأرقام، ووضعوا القواعد اللازمة لاستعمال الأرقام الهندية.

جهود في علم الرياضيات

يعزى للعرب والمسلمين اكتشاف العلوم الرياضية، كالجبر والهندسة وحساب المثلثات والتفاضل والتكامل وغيرها من العلوم الرياضية، لأن العمليات الحسابية التي هي عماد البحث العلمي، كان إجراؤها بالحروف أو بالأرقام الرومانية أمرًا عسيرًا وعقيمًا، فهم الذين زاوجوا بين طرق الحساب الهندية والإغريقية، وعدلوا عملياتها لتلائم أسلوب الكتابة بالحبر على الورق بدلاً من طريقة تختة الرمل التي أخذوها عن الهنود. كما استنبط المسلمون طرقًا جديدة أبسط وأكثر دقة.

فالمسلمون هم الذين أدخلوا المماس إلى علم المثلثات، وأقاموا الجيوب مقام الأوتار، وطبقوا علم الجبر على الهندسة وحلّوا المعادلات المكعبة، وتعمقوا في مباحث المخروطات، وحولوا علم المثلثات الكروية بردّهم حل مثلثات الأضلاع إلى بضع نظريات أساسية تكون قاعدة له.

وتوصلوا إلى اكتشاف الكسور العشرية، وابتكروا العلامة العشرية التي سهلت صوغ هذه الكسور ويسرت العمليات الحسابية التي تدخل فيها.

كما حدد المسلمون الشكل النهائي للأرقام، ووضعوا القواعد اللازمة لاستعمال الأرقام الهندية. والأرقام الهندية، هي نوع من الأرقام الهندية الأصل التي هذبها المسلمون وأصبحت تعرف باسم الأعداد العربية، وهي تستعمل في المشرق الإسلامي، مثل 1، 2، 3، 4، 5.

والأرقام الغبارية، وسميت غبارية لأن كاتبيها كانوا ينثرون غبارًا على لوح من الخشب، ويرسمون عليه الأرقام 1، 2، 3، 4، 5.. إلخ. وقد انتشر استعمالها في المغرب الإسلامي والأندلس. وعن طريق الأندلس وبواسطة المعاملات التجارية والرحلات والسفارات، دخلت هذه الأرقام إلى أوروبا وعرفت فيها باسم الأرقام العربية (Arabic Numerals).

كما أن العرب المسلمين واضعو الرقم صفر، ولأهميته العددية أطلق لفظ "سيفر" (Cipher) على الرقم بالإنجليزية، وكانوا يرسمونه على هيئة حلقة في داخلها فراغ (0)، وهو شكل أصبح يدل على الصفر لدى الغرب. ومنشأ ذلك أن المسلمين القدامى كانوا يرسمون الصفر حلقة.

أحمد محمد بن موسى الخوارزمي (١٦٤-٢٣٢هـ / ٧٨٠-٨٤٧م)، ولد في بلاد خوارزم بآسيا الصغرى، وتوفي ببغداد. برز في عصر المأمون، وتبوأ منزلة رفيعة بين علماء عصره، ثم صار رئيسًا لدار الحكمة وواحدًا من كبار الفلكيين بمرصد بغداد. وفي عهد الواثق كُلف ببعض المهام العلمية وأُنفذ في بعض البعثات العلمية والمهام الخاصة.

إنجازات الخوارزمي العلمية

للخوارزمي بحوث ومؤلفات في العلوم الرياضية (الحساب والجبر والهندسة)، وعلم الهيئة (الفلك)، والجغرافيا. وينسب للخوارزمي أكثر من خمسين مؤلفًا ضاع معظمها.

كتاب غير مسبوق في الحساب

نقل الخوارزمي نظام الأعداد الهندية وألف فيه، كما ألف كتابًا غير مسبوق في الحساب (الجمع والطرح وفن الحساب الهندي) بوّبه بطريقة مبتكرة، وكان أول كتاب في الحساب يدخل أوروبا بعد أن ترجمه المترجم الإنجليزي "أديلارد الباثي" (١٠٧٠-١١٣٥م) (Adelard Bath) الذي كان يعمل مترجمًا للأمير "هنري"

hiragate.com

(الملك هنري الثاني فيما بعد). وقد ظل هذا الكتاب مرجعًا للعلماء والتجار وأهل صنعة الحساب في أوروبا قرونًا طويلة. وأطلق الأوروبيون على الكتاب اسم مؤلفه الخوارزمي، وكتبوه محرفًا إلى عدة صور منها: Guaresmo Algorithm - Algoritmi - Algorismus. وقد عمّم هذا اللفظ على علم الحساب نفسه، فصار -ولعدة قرون- يعرف باسم Algoritmi.

الجبْرُ علم إسلامي

الجبر علم عربي إسلامي خوارزمي -نسبة إلى الخوارزمي- خالص، فمؤسس هذا العلم -كعلم مستقل عن الحساب- هو الخوارزمي بوضعه كتاب "الجبر والمقابلة"، والحافز على تأليف هذا الكتاب تطبيق العلم على قوانين الشريعة الإسلامية لحل مشاكل الإرث الإسلامي. فجزء كبير من الكتاب مخصص لتلك المشاكل. والخوارزمي هو الذي أطلق عليه هذا الاسم الذي يعرف به في كل اللغات تقريبًا نسبة إلى تسمية كتابه الجبر والمقابلة، وغلب اللفظ الأول على اسم هذا الوليد فصار يعرف به.

ومن الغريب أن بعض مؤرخي العلم الغربيين الذين هالهم أن يجتمع لعالم عربي مسلم واحد هذا الكم الكبير من الإنجازات، ردوا لفظ الجبر إلى الاسم "Ge-ber" الذي هو تحريف لاتيني لاسم الفلكي الأندلسي جابر ابن أفلح الأشبيلي، وهو خطأ مضحك، لأن جابرًا عاش بعد الخوارزمي بقرنين.

على هذا النسق، حاول بعض علماء الغرب إهمال دور المسلمين في بناء الإنسانية، الذي اتخذ صورًا شتى وصيغًا مختلفة ما بين تجاهل للعلم العربي الإسلامي أو التهوين من شأنه، إلى غير ذلك من الصور والصيغ التي تصب في مجرى واحد لا تتعداه، وهو إسقاط مآثر الحضارة العربية الإسلامية في مجال العلم، الأمر الذي انعكس بالتالي على الفكر الغربي ومن ثم أدبيات الخطاب الإعلامي الغربي حيال العلماء العرب والمسلمين.

وبالعودة إلى كتاب "الجبر والمقابلة" للخوارزمي يجدر القول إن الجبر قام على التزاوج بين نظام

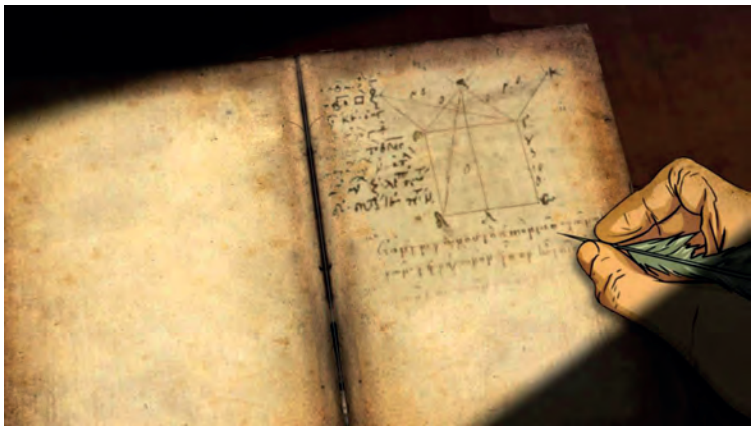

درس الخوارزمي حساب المثلثات وبحث فيه، ونشر أول جداول مثلثية عربية تناول فيها الجيوب والظلال.

الأعداد الهندية وقواعدها، ونظريات الهندسة. فنشأة هذا العلم أحدث ثورة هائلة في كل العلوم الأخرى. وكان ذلك يتطلب عبقرية فذة؛ لأن الرموز الجبرية لم تكن مستخدمة بعدُ، لذا استخدم الخوارزمي بدلاً من "س" و"ص" كلمة "شيء" أو "جذر"، وبدلاً من مربع المجهول "س^2" كلمة "مال" فقال مثلاً: مالان وعشرة جذور تعدل ثمانية وأربعين درهمًا، للتعبير اللفظي عما نكتبه نحن بلغتنا الحديثة: 2س^2 + 10س=48.

وقدم الخوارزمي في كتابه "الجبر والمقابلة" حلولاً من الدرجة الثانية بطرق هندسية.

المعادلة من الدرجة الثانية هي المعادلة التي تتخذ الصورة العامة: أس^2 + ب س + جـ=0، مثل: 2س^2 + 4س + 3=0، وهذا في مقابل المعادلة من الدرجة الأولى التي تسمى أيضًا بالمعادلة الخطية، وتتخذ الصورة الرياضية العامة: أس=ب، مثل: 2س=3.

كذلك أوجد الخوارزمي رموزًا للجذور والمربع والمكعب والمجهول.

كما خصص الخوارزمي أحد أبواب كتابه "الجبر والمقابلة" لمعاملات البيع والشراء المختلفة وما يكتنفها من عمليات حسابية. كما خصص بابًا آخر للمساحة حلّ فيه المسائل الهندسية بالطرق الجبرية، وبابًا ثالثًا للوصايا تناول فيه مسائل عملية تختص بالتركات والمواريث.

hiragate.com

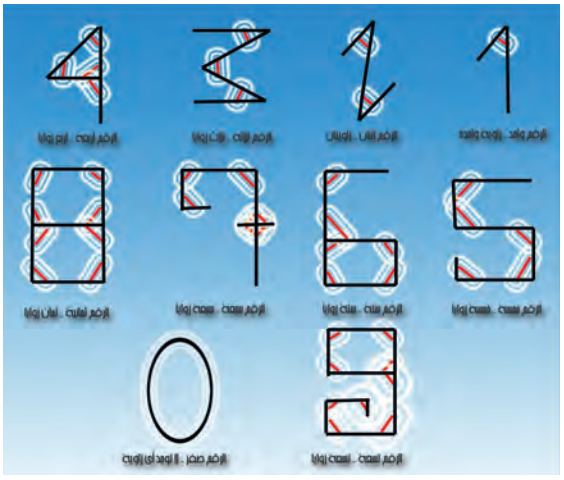

قام الخوارزمي بتصميم الأرقام العربية وجعلها لغة عالمية. وإن المسلمين هم الذين وضعوا الرقم "صفر".

ولأهمية كتاب "الجبر والمقابلة" قام بترجمته الإنجليزي "روبرت التشستري" (Robert of Chester) إلى اللاتينية عام ١١٤٣م، ليصبح من أهم روافد النهضة العلمية الأوروبية. وحققه ونشره بالعربية العالمان المصريان الجليلان "علي مصطفى مشرفة" و"محمد مرسي أحمد" عام ١٩٣٧م عن المخطوطة المحفوظة بالمكتبة البودلية في أكسفورد بإنجلترا.

حساب المثلثات (الهندسة)

درس الخوارزمي حساب المثلثات وبحث فيه، ونشر أول جداول مثلثية عربية تناول فيها الجيوب والظلال. وقد ترجمت هذه الجداول إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي.

علم الهيئة (الفلك)

شارك الخوارزمي في قياس محيط الأرض، الذي تم في عهد الخليفة المأمون تحديدًا في العام ٢١٢هـ/٨٢٧م، وهو القياس الذي تم بطريقة فلكية اعتمدت على انقسام لجنة العلماء المكلفة به إلى فريقين، اتجه أحدهما شمالاً والآخر جنوبًا على نفس خط الطول، ثم قام كل فريق بتحديد خط العرض في الموضع الذي بلغه عن طريق قياس ارتفاع النجم القطبي، ومن القياسين الحاصلين قام العلماء بحساب الدرجة القوسية التي استخدمت بدورها في حساب محيط الأرض ونصف قطرها. حيث

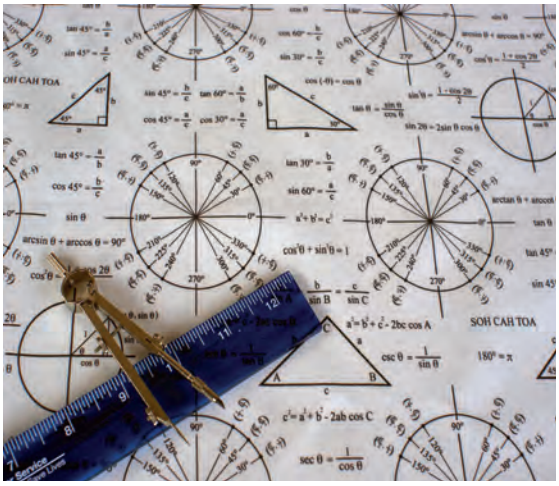

المسلمون هم الذين أدخلوا المماس إلى علم المثلثات، وأقاموا الجيوب مقام الأوتار، وطبقوا علم الجبر على الهندسة.

تم تحديد محيط الأرض بنحو ٤١٢٤٨ كيلو مترًا، وهي أدق محاولة تقترب في نتيجتها من ما توصل إليه العلم الحديث. كما وضع الخوارزمي جداول فلكية، منها السند والهند والصغير. كما صنف في الفلك مؤلفات هامة، منها كتاب العمل بالأسطرلاب، وكتاب جدول النجوم وحركاتها.

تأليفه في الجغرافيا

في الجغرافيا ألف الخوارزمي كتاب صورة الأرض، كما ألف أيضًا كتاب تقويم البلدان. وتقول دائرة المعارف البريطانية عن الخوارزمي: "رياضي وفلكي، ألف علمين جوهريين أحدهما في الجبر، والآخر في الأرقام الهندية العربية، وكانا واسطة في تعريف الرياضيات الأوروبية بهذين الموضعين".

وتقول المستشرقة الألمانية "زيجريد هونكه" (Z. Hon-ke): "لقد كُتب للخوارزمي الخلود بتأليفه كتابين هامين في الرياضيات؛ الأول الجبر والمقابلة، والثاني كتاب في الحساب؛ شرح فيه طريقة استخدام نظم الأعداد والأرقام والجمع والطرح والضرب والقسمة وحساب الكسور". وقد ترجم الكتاب الأول إلى اللغة اللاتينية في عام ١١٤٣م. ■

(*) باحث في التراث العربي والإسلامي / مصر.

hiragate.com

صالح بن محمد آل طالب*

الصديق الوفيّ مَن يحرص على صديقه في مواقع الزلل ويأخذ بيده، وليس مَن يؤمِّن على كل ما يفعل ويقول صوابًا كان أو خطأ.

الموازين

لماذا الخوف من الإسلام؟

في حديث قصة بيعة العقبة، لما اجتمع النبي ﷺ سرًّا بالأنصار ليبايعوه على النصرة، روى لنا كعب بن مالك ﷺ فقال: كان أوّلَ مَن ضرب على يد رسول الله ﷺ البرَاءُ بن مَعْرُورٍ، ثم تتابع القومُ، فلما بايعَنا رسولُ الله ﷺ صرَخ الشيطانُ من رأس العقبة بأبعد صوتٍ سمِعتُه قط: يا أهل الجُباجِب -والجُباجِبُ: المنازل- هل لكم في مُذَمَّم والصُّباةُ معه قد أجمعوا على حرْبكم؟ فقال رسول الله ﷺ: "هذا أَزَبُّ العقبة هذا ابن أَزْيَبَ، اسْمَعْ أيْ عدوَّ الله، أمَا واللهِ لأُفْرُغَنَّ لك" (رواه الإمام أحمد). هذه أول صيحة تخويف من الإسلام ابتدأها شيطان من شياطين الجن، وصور في شائعته وذائعته تلك؛ أن هذه الولادة المبكرة لكيان الإسلام إنما هي اجتماع لحرب الناس.

وعلى امتداد القرون التاليات، لم يزل في الإنس من يرث تلك الدعوى ويذيعها إما عن جهل أو تجاهل، ولم يزل الخوف من الإسلام والتخويف منه حاضرًا في القرارات العالمية والمحافل الدولية، فضلا عن وسائل الإعلام.

وما زال السياسيون والإعلاميون يصرون على تثبيت صورة الإسلام على أنه ثقافة عدوانية. ولو نظروا بعدل وإنصاف، لرأوا في أصول الإسلام ومبادئه أكمل القيم والمثل في العدل والتسامح.

إن الخوف من الإسلام والتخويف منه له آثار سلبية على المسلمين وعلى غيرهم. فهو يهدم جسور الثقة والتعاون، ويغذي جذور التعدي والإرهاب والتفرقة العنصرية، ويقضي على المصالح المشتركة بين البشر، ويحطم العلاقات الدولية. إضافة إلى المضايقات والعنف والقيود على الحرية الشخصية، إنه تشويه للحق

الذي جاء من عند الله.

ووصل الأمر بسبب فرية التخويف من الإسلام، إلى التحريض وإثارة الأحقاد الدينية. وتعدى البعض إلى إهانة وتدنيس المقدسات الإسلامية وانتهاك الحرمات الدينية، بتطاول على حرمة النبي محمد ﷺ أو امتهان للقرآن الكريم. وسن القوانين ضد مظاهر حجاب المرأة ونقابها، ونشر رسومات ساخرة بالصحف ووسائل الإعلام تسيء إلى المسلمين، وربط صور المسلمين ومظاهرهم بموضوعات تتحدث عن الإرهاب. ولا يزال انتماء فرد أو شعب إلى الإسلام، سببًا في فشل قضاياه وضياع حقوقه ورد مطالبه.

الخوف من الإسلام وراء مواقف الريبة والعداء لكل محاولات الشعوب لاختيار قرارها الذي تعيش به.

وإنك لتأسى حين تجد الكثيرين ينظرون بتسامح كبير إلى ديانات وثنية، ولكن في حالة الإسلام، فإن رد الفعل تجاهه لا يكون عقلانيًا، وإنما يكون عاطفة سلبية عارمة. ولطالما تم التأخر في نصرة المكروبين والتردد في إنقاذ المظلومين ممن ظلمهم، لا لشيء إلا الخوف من قيام قائمة للإسلام.

ولا شك أن للموروثات الثقافية أثرًا في تكوين هذا الاتجاه لدى الآخرين ضد الإسلام، يغذيه الإعلام المغرض والسياسات الجائرة، حتى حذر الأمين الحالي للأمم المتحدة منصفًا بقوله: "إن موجة التخويف من الإسلام ترقى إلى مرتبة المناهضة العنصرية لهذا الدين"، ولقد قال مثلها من قبل سلفه على منبر الأمم المتحدة.

وإن على عقلاء العالم أن يقفوا بإنصاف وعدل أمام هذه القضية الخطيرة، والتي لا تجدي سوى مزيد من الصراعات والخلاف. وإن الجهل بالإسلام وتعاليمه وأخلاقياته، سبب رئيس للخوف منه، إذ الإنسان يخاف ما يجهل.

إننا حين نقرر ما سبق، فإننا لا نقرره في سياق التجييش أو نكأ الجراح، وإنما ليعلم الكثير من بسطاء العالم والأحرار، مقدار تغييب وعيهم عن حقائق التاريخ وسياق الحوادث، وأنهم كثيرًا ما يقفون في الموقف الخطأ الذي لا يتسق مع ما يفاخرون به من قيم ومُثُل وصل لها الإنسان في ألفيته الثالثة.

لماذا الخوف من الإسلام؟ فلم يكن المسلمون مسؤولين أبدًا عن اشتعال حربين عالميتين قُتِل في الأولى سبعة عشر مليونًا من البشر، وفي الثانية خمسون مليونًا عدا المصابين، والدمار الهائل في البيئة والمقدرات البشرية.

ولم يستعمر المسلمون العالم، ولم يسخّروا شعوبه لاستنزاف خيرات تلك الشعوب ليستمتع بها المستعمر.

ولم يقم الإسلام في تاريخه الطويل محاكم تفتيش لإجبار الناس على تغيير دينهم، بل إنه على امتداد خمسة عشر قرنًا من بسط الإسلام سلطانه، لم يزل في بلاده أصحابُ ملل ونحل، لهم فيه معابد وكنائس لم يتعرض لها أحد، وما زالت تلك الأقليات متعايشة مع المسلمين على أرض الإسلام حتى اليوم.

موازين العدل وحقوق الإنسان

لقد نصب الإسلام موازين العدل يوم رفعت كلُّ أمة عصا الطغيان. ولك أن تنظر في المواقف العالمية اليوم، لترى كيف تغلب المصالح الضيقة على المبادئ والقيم. وفي المائة عام السالفة، والتي نشأت بها منظمات تعنى بالإنسان وحقوقه، وتحترم ثرواته وأراضيه، لم يسجل التاريخ أن بلدًا مسلمًا غزا بلدًا غير مسلم.

لماذا الخوف من الإسلام؟ وهو يدعو البشر أن يتراحموا فيما بينهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء:١). لقد ألغى الإسلام الطبقية والعنصرية في المجتمع، في حين أن أقوى وأكبرَ دولة في الحاضر لم يصل عمر إلغاء الطبقية والعنصرية فيها خمسين عامًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات:١٣).

لماذا الخوف من الإسلام وأول حقوق للإنسان أرسيت كانت تحت رايته؟ إن الإسلام هو المنهج الأشدُّ وضوحًا وصراحة في نقض الاستبداد والتجبر والطغيان، ليس من الناحية السياسية فحسب، بل لأنه

hiragate.com

يُعَد هذه الجرائم مناقضة لجوهر الدين الحق وهو توحيد الله ﷻ، وفي القرآن منهج متكامل لنقض التجبر والطغيان وإبطالهما.

لماذا الخوف من الإسلام وقد حفظ حتى للحيوان حقه؛ فلا يكلَّف فوق طاقته، ولا يجوَّع، ولا يفرَّق بين شاة وولدها، ولا تؤخذ فراخ طائر من عشها؟

لماذا يخاف الناس من الإسلام؟ أيخافونه لأنه يحرّم عليهم متع الحياة وزينتها وجمالها؟ كلا، فالإسلام شدد النكير على الذين يحرمون زينة الله التي خلقها للناس: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(الأعراف:٣٢). إن الإسلام قد كفل حق الحياة ومُتعها ومباهجها لكل أحد، فلا خوف من الإسلام، ولا جزع.

لماذا الخوف من الإسلام وقد أقام حضارة كانت خيرًا كلها وبركات.. حضارة روح وجسد، وفضيلة وسعادة عمّ نفعها الناس، وتفيأ ظلالها أهل الأرض جميعًا.. حضارة لم تستخدم قوتها لإذلال الشعوب الضعيفة وقهرها ونهب خيراتها كما تفعل بعض الحضارات الأخرى.

لماذا يصوَّر الإسلام أنه يحمل بذور العنف والتعصب، وأنه الخطر الكاسح الذي سيقوّض أمن العالم، والذي يجب أن يكافَح وأن يُجتَثّ من جذوره؟! بينما التسامح والخلق الكريم مبدأ إسلامي أصيل، بل ورد في القرآن الكريم ذكر الرحمة والرأفة والعفو والصفح والمغفرة والصبر.. أكثر من تسعمائة مرة، عدا ما أثر عن النبي محمد ﷺ. فهل يوجد دين أو ثقافة أعطى عناية كهذه في التربية على التسامح؟ على أن التسامح لا يعني الذل والهوان أو الخنوع للظلم والاستكانة للظالمين، بل إنه توازن يعبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۞ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(الشورى:٣٩-٤٣).

والتسامح بمعنى البر ومقابلة السيئة بالحسنة، أمر مطلوب ومرغوب ما لم يترتب عليه إعانة على الظلم، أو خذلان للمظلوم، أو انتهاك لمبدأ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. لقد جاء الإسلام بحسن الخلق وبكل تفاصيل السلوك الحسن تجاه الإنسان والبيئة، كما جاء منسجمًا بين الجانب الروحي وجانب المادة.

إن حقيقة الأمر، أن التخويف من الإسلام صناعة اصطنعها أقوام عمدوا لصد الناس عن الإسلام، أو اللغو في حقائقه وقيمه وشعائره وشرائعه، لأغراض سياسية وعنصرية وأهواء شهوانية، وإلا لو تُرك الناس وشأنَهم.. لو تُركوا لفِطَرهم وضمائرهم وعقولهم المستقلة.. لو تُركوا -دون تحريض أو تعبئة ضد الإسلام- لما خافوا منه قط.

إن الإسلام ليس دين العرب وحدهم، وخيرُه ليس حكرًا على المسلمين وحدهم، بل هو رحمة لكل الناس: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧).

إن الإسلام هو المنهج الذي يصلح الفساد الذي أنشأه البعد عن الله.. هو الدين الذي ينشر العدل في الأرض لأنه يحرّم الظلم ويأباه، والواجب على المسلمين أن يتمسكوا بمبادئه وقيمه، وأن يبيّنوا للناس حقيقته تمثلاً وتطبيقًا، ودعوة مخلصة وليس ادعاء وتصنعًا. ومهما حاول المحاولون تشويه صورة الإسلام وتنفير الناس عنه وتخويفهم منه؛ فإن الله مُظهر دينَه، ومُتمّ نورَه. إنه لا خوف على الإسلام، ولا خطر في تطبيق شريعته، لكن الخوف والخطر على من فرّط فيه وتهاون، أو صدّ عنه وأعرض: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(الزخرف:٤٣). ■

إن الإسلام هو المنهج الذي يصلح الفساد الذي أنشأه البعد عن الله.. هو الدين الذي ينشر العدل في الأرض لأنه يحرّم الظلم ويأباه، والواجب على المسلمين أن يتمسكوا بمبادئه وقيمه، وأن يبيّنوا للناس حقيقته تمثلاً وتطبيقًا، ودعوة مخلصة وليس ادعاء وتصنعًا.

(*) إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة / المملكة العربية السعودية.

hiragate.com

البشير أسعير*

جهود النورسي
في خدمة القرآن الكريم

إلى أي حد ساهم الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في خدمة القرآن الكريم؟ وأين تجلت ملامح الأسلوب القرآني في كتاباته؟ وهل نجح الإمام النورسي في إيصال الرسالة القرآنية إلى المسلمين في تركيا وغيرها من البلاد الإسلامية؟

لقد ترك النورسي -رحمه الله- تراثًا ضخمًا وغنيًّا للأمة الإسلامية، تَمثَّل في رسائل النور التي عكست نورانية مؤلفها وتميزه في صياغة الألفاظ وإجادة المعاني، ويتضح ذلك في أسلوبه العذب المستمد من أصالة القرآن الكريم. كيف لا وهو الذي نهل من معين هذا الكتاب الرباني الخالد، وتعلم من أسلوبه الفريد، وفهم معانيه الإيمانية.

وإذا تتبعنا ما كتبه الإمام النورسي في رسائله النورانية، لا شك أننا سنكتشف دقة ألفاظه، ووضوح مبتغاه من رسائله التي جمعها، والتي ركز فيها على بيان الحقائق الإيمانية في القرآن الكريم، وترسيخها في نفوس المسلمين. وهذا ما نلمسه جليًّا، حينما نقرأ عن بعض الصور الفنية في القرآن الكريم التي وظفها الإمام النورسي في رسائله، ولعل أول ما نلحظه من سمات

تميز أسلوب النورسي في تناوله للقرآن الكريم، هو براعته في تعريف هذا الكتاب الكريم.

يقول رحمه الله تعالى: فإن قلت: القرآن ما هو؟ قيل لك: "هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض. وكذا هو مفتاح الحقائق والشؤون المضمرة في سطور الحادثات. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية، والالتفاتات الأبدية الرحمانية. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي. وكذا هو قول شارح، وتفسير واضح، وبرهان قاطع، وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه.

وكذا هو مربّ للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد الهادي إلى ما خُلق البشر له. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر.

وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية. كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل؛ حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين؛ رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل".

إنها عبارات دالة على الذوق الجمالي الذي يميز كتابات بديع الزمان سعيد النورسي، والإشارات الإيمانية التي فهمها من النص القرآني.

ويتضمن هذا التعريف إلهام ثلاثة مقاطع معنوية كبرى، كل مقطع منها مؤلف من إشارات تعريفية مختلفة، بيد أنها تشكل بمجموعها -ضمن كل مقطع- وحدة موضوعية متكاملة. وهذه الوحدات الثلاث، هي:

كرس النورسي حياته للقيام بمشروعٍ سماه "إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن"، ويقوم المشروع على تحويل إيمان الناس من مجرد إيمان تقليدي موروث، إلى إيمان تحقيقي مشهود. كما يقوم مشروعه في شقه الآخر، على تبيان "حقائق" القرآن للناس، وأبرزها التوحيد والنبوة والحشر.

١- كونية القرآن الكريم: وتبتدئ من قوله في البداية: "هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات"، إلى قوله: "وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه".

٢- رسالية القرآن الكريم وغايته التعبدية: وتبتدئ من قوله بعد: "وكذا هو مرب للعالم الإنساني"، إلى قوله: "كذلك هو كتاب فكر".

٣- عرضه الكثرة من عين الوحدة: وتبتدئ من قوله: "وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة"، إلى قوله في نهاية التعريف: "حتى كأنه مجموعة الرسائل".

إلا أن هذه الوحدات الثلاث، ناطقة جميعها بجملة واحدة هي جوهر التعريف، وعنها صدر كل هذا التوصيف للقرآن الكريم؛ هذه الجملة هي أن "القرآن كلام الله رب العالمين". فهذه الجملة المعنوية الكبرى، هي أم الوحدات الثلاث المذكورة. وإنما قال النورسي ما قاله فيها من عبارات تعريفية ذوقية؛ انبهارًا بهذه الحقيقة الوجودية العظمى: "كلام الله"، وهو ما صرح به النورسي في مواطن عديدة من رسائل النور.

لا شك أن النورسي، تناول مجموعة من المواضيع التي وردت في القرآن الكريم بالدرس والتحليل، وقد لا يتسع المجال لذكرها كلها، إلا أنني أكتفي بذكر بعض منها، ومن ذلك:

تميز أسلوب بديع الزمان سعيد النورسي باستخدامه أسلوب التكرار. وهو يريد بهذا، إبلاغ خطابه الإيماني وتثبيته في قلوب المؤمنين. ويبيّن الحكمة من وراء ذلك حينما يقول: "لقد طالعتُ الرسائل المرسلة إلينا، فرأيتُ أن عددًا من الحقائق قد تكررت لمناسبة المقام.

hiragate.com

إن النورسي يربط معاني القرآن الكريم بوظيفة المؤمن الحقيقية في الوجود، التي يجب أن يعيها ويعيشها، وإن الرسالة القرآنية هي صلة وصل بين المؤمن وربه ﷻ. وهذه العلاقة الربانية، من شأنها أن تغرس في نفس المؤمن عظمة كلام الله تعالى.

إذ تكررت تلك الرسائل دون إرادتي، بل خلاف رغبتي واختياري. فتضايقت من النسيان الذي اعترى ذاكرتي، وفجأة ورد إلى القلب هذا التنبيه: انظر إلى ختام الكلمة التاسعة عشرة، فنظرتُ إليه، وهو يتناول بيان الحِكم الجميلة للتكرارات الواردة في القرآن الكريم. فهذه الحِكم تظهر أيضًا في رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم. فرأيت أن تلك التكرارات منسجمة تمامًا مع تلك الحِكم، بل هي ضرورية أيضًا".

لا شك أن اعتماد الإمام سعيد النورسي أسلوب التكرار، كان بسبب الخوف من النسيان الذي يعتري ذاكرته، وربما أن التكرار يفيد في تثبيت الكلمات في ذهن القارئ، والتكرار يساعد على التذكير حين الغفلة، وتقرير الحقائق الإيمانية في القلوب.

ويجد الناظر في كليات رسائل النور، أن مؤلفها يجنح إلى التكرار في كثير من المواضع. ولهذا المنهج مسوغات نفسية وموضوعية قادته إلى اصطناع هذا المذهب في الكتابة؛ فبعض رسائله كُتبت في ظروف الحرب العالمية الأولى وهو في جبهات القتال، وبعضها الآخر أُنجز في حالات من العرفان الصوفي، فضلاً عن أن حجم رسائل النور بلغ مئة وثلاثين رسالة. فكيف لكاتب -مهما علا كعبه وسما نجمه- أن يتقيد بأصول الكتابة الصارمة في ظروف لا تساعد على ضبط مسلك التحرير والتقييد وتتحكم في مسارات التأليف؟

ولعل عين الإنصاف ترى أن مذهب النورسي في الكتابة، جاء استجابة لملابسات المرحلة التاريخية التي عاشها وشارك فيها بآمالها وآلامها؛ شحذت همته، وصقلت أسلوبه. ثم إن معاودة النظر ومراجعة الرسائل، كانت بدافع ملاحظات طلابه ومريديه الذين أحسّوا إحساسًا صادقًا بأن الرسائل لم تبلغ الغاية من الإتقان والإبداع، وهو شعور كل قارئ خَفِيت عليه الحكمة من التكرار كما تخفى أسرار التكرار ولطائفه في أسلوب القرآن الكريم.

وفي كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، يبين بديع الزمان سعيد النورسي روعة الإعجاز القرآني، متبنيًا نظرية النظم، ومطبقًا لها من خلال هذا الكتاب الذي ضمنه تفسيره المتميز لآيات القرآن الكريم حيث بدت سمات الإبداع البياني فيه. ويقول النورسي مبينًا مقصده من هذا التفسير: "إن مقصدنا من هذه الإشارات، تفسير جملة من رموز نظم القرآن، لأن الإعجاز يتجلى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم".

ويزيد قوله: "إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة؛ لأنه لما كان بنو آدم كركب وقافلة متسلسلة راحلة من أودية الماضي وبلاده، سافرة في صحراء الوجود والحياة، ذاهبة إلى شواهق الاستقبال، متوجهة إلى جناته، فتهتز بهم المناسبات وتتوجه إليهم الكائنات. كأنه أرسلت حكومة الخلقة فن الحكمة مستنطقًا وسائلاً منهم بـ"يا بني آدم! من أين؟ إلى أين؟ ما تصنعون؟ مَن سلطانكم؟ من خطيبكم؟".

إن تفسير القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي، له من الميزات والخصائص التي تميزه عن غيره من التفاسير التي وضعها المفسرون المسلمون من قبله أو من بعده؛ من ضمنها أنه اعتمد نظرية النظم، وطبقها في تفسيره تطبيقًا وافيًا، إذ يضفي عليها نسمات إيمانية فريدة. كما أنه يربط معاني القرآن الكريم بوظيفة المؤمن الحقيقية في الوجود، التي يجب أن يعيها ويعيشها، وأن الرسالة القرآنية هي صلة وصل بين المؤمن وربه ﷻ. وهذه العلاقة الربانية، من شأنها أن تغرس في نفس المؤمن عظمة كلام الله تعالى، وأنه هو المقصود بهذا الخطاب الرباني. كما أننا نلمس الأثر البارز لهذا التفسير من الناحية الأدبية، في عمق القراءة اللغوية التي يستنبطها النورسي من سور القرآن الكريم، حيث نجده

hiragate.com

يعلل ورود بعض الحروف والكلمات في هذه السور، وعلاقة ذلك بالمعاني المستخلصة منها.

يقول النورسي في هذا الباب: وجه النظم مع ما قبله، أي مع قوله "بسم الله الرحمن الرحيم": أن "الرحمن" و"الرحيم" لما دلّتا على النِعَم، استوجبتا تعقيب "الحمد"، ثم أن "الحمد لله" قد كُرِّرت في أربع سُوَرٍ من القرآن -وهي سور الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر- كل واحدة منها ناظرة إلى نعمة من النعم الأساسية، التي هي النشأة الأولى والبقاء فيها، والنشأة الأخرى والبقاء بعدها.

"لله"؛ أيْ الحمد مختص ومستحق للذات الأقدس المشخص الذي يُلاحَظ بمفهوم "الواجب الوجود"، إذ قد يلاحظ المشخص بأمر عام، وهذه "اللام" متعلقة بمعنى نفسها، كأنها تشربت معنى متعلقها، وفي "اللام" إشارة إلى الإخلاص والتوحيد.

"رَبِّ"؛ أي الذي يربّي العالم بجميع أجزائه التي كلٌّ منها كالعالم عالَم؛ وذرَّاته -كنجومه- متفرّقةٌ متحرّكة بالانتظام.

واعلم! أن الله ﷻ عيّن لكل شيء نقطةَ كمالٍ وأودع فيه ميلاً إليها، كأنه أمَره أمرًا معنويًّا أن يتحرك به إليها، وفي سفره يحتاج إلى ما يُمدُّه ودفع ما يَعوقه، وذلك بتربيته ﷻ لو تأملت في الكائنات لرأيتها كبني آدم طوائف وقبائل؛ يشتغل كلٌّ منفردًا ومجتمعًا بوظيفته التي عيَّنها له صانعُه، ساعيًا مُجدًّا مطيعًا لقانون خالقه، فما أعجب الإنسان كيف يشذّ!

"العالمين"؛ الياء والنون إما علامة للإعراب فقط كـ"عشرين وثلاثين"، أو للجمعية؛ لأن أجزاء العالم عَوالم، أو العالمُ ليس منحصرًا في المنظومة الشمسية. قال الشاعر: الحمد لله كم لله من فلك تجري النجوم به والشمس والقمر.. وهكذا إلى آخر تفسير سورة الفاتحة.

لقد كرس بديع الزمان سعيد النورسي حياته للقيام بمشروعٍ سمّاه "إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن". ويقوم المشروع على تحويل إيمان الناس من مجرد إيمان تقليدي موروث، إلى إيمان تحقيقي مشهود. كما يقوم مشروعه في شقه الآخر، على تبيان "حقائق" القرآن للناس، وأبرزها التوحيد والنبوة والحشر.

ومن أقواله في هذا الموضوع: "لا يدخل المرء الجنة بطريقته، هذا عصر الإيمان لا الطريقة".

لقد حمل العالم الرباني سعيد النورسي -رحمه الله- الرسالة القرآنية بصدق وإخلاص، ودافع عنها يوم تعرض القرآن للهجمة الشرسة؛ حين صرح وزير المستعمرات البريطاني "غلادستون" قائلاً لعموم النواب البريطانيين: "ما دام القرآن بِيَد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به".

هذه العبارات زعزعت كيان الإمام بديع الزمان النورسي، فانتفض قائلاً: "لأبرهنن للعالم كله، بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".

وبالفعل، نهض هذا العالِم الرباني بهذه المهمة قدر جهده ووفق ظروف عصره وبيئته التي عاش فيها رغم قلة الوسائل، ومع ذلك استطاع أن يبلغ رسائله إلى العالم الإسلامي بعد أن انتشرت في أرجاء تركيا، وتتلمذ على يده كثير من الطلبة داخل وخارج تركيا. ونحن نرى -بحمد الله- هذه الصحوة الإسلامية المجيدة التي تشهدها بلاد المسلمين، وتزداد أعداد المقبلين على القرآن الكريم تلاوة وحفظًا ومدارسة، وهو وعد إلهي حفظه لهذه الأمة المحمدية قائلاً سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩).

هذه إذن أمثلة مختصرة تبين ألمعية الإمام بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله- في خدمة كتاب الله تعالى، وتبرهن للقارئ مدى موسوعية هذا العالم الرباني الذي نبغ في العلوم الشرعية والكونية معًا. ولعله بهذا المسار الذي اختاره لنفسه، يرسل لنا رسالة مفادها؛ أن علينا حمل رسالة القرآن للعالمين، وأن علينا فهم هذه الرسالة فهمًا عميقًا، وإدراك معالمها وشموليتها للناس أجمعين. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المراجع

(١) كليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

hiragate.com

محمد بهادير دوردنجي*

ذكريات رمضانية
من إسطنبول العثمانية

لقد حرصت الدولة العثمانية على تأدية كل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، فأقامت ثقافتها ونظّمتْ قوانينها وفق هذه العقيدة السمحاء. ومن شواهد ذلك، شهر رمضان المبارك الذي ما إن يجئ ببركاته حتى تبدو علامات البهجة والسرور على ملامح الناس الخاصة والعامة، وتقام الحفلات والمراسيم في قصر طوب قابي السلطاني احتفاء بهذا الشهر الكريم. كان قصر طوب قابي مهمًّا لسببين، الأول أنه كان مركز الحكم والإدارة في الدولة العثمانية التي كانت أقوى دولة في العالم آنذاك. والسبب الثاني أنه كان مقر الأمانات المقدسة[1] التي لم تكن تحوزها أيّ دولة إسلامية أخرى.

والجدير بالذكر أن المراسيم والمناسبات الدينية التي كانت تقام في القصور السلطانية، عريقة الأصول راسخة الجذور. وما استقبال شهر رمضان المبارك بالمراسيم، إلا استمداد لهذه

التقاليد النبيلة والقيم الفاضلة.

لقد كانت احتفالات هذا الشهر المبارك تنطلق في اليوم الثاني عشر من شهر رجب، وذلك بإرسال كسوة الكعبة المشرفة -وكانت تُنسج في فناء مسجد السلطان أحمد بإسطنبول- مع النقود والهدايا إلى أهل الحرمين الشريفين في موكب كان يدعى "موكب الصرة السلطانية". تبدأ هذه المراسيم بحضور الخليفة السلطان في قصر "طوب قابي"، فيتم خلالها تسليم الكسوة، والنقود، والهدايا إلى "أمين الصرة" بالأدعية والتسبيحات، ثم يُوَدَّع الموكب بالتهليل والتكبرات إلى الحرمين الشريفين.

كان السلطان يحضر الدروس التي تقام في شهر رمضان، والمذاكرات الدينية التي تعقب هذه الدروس. وفي اليوم الرابع عشر من شهر رمضان، يُدْعا رجال الدولة البارزون، وقوّاد الجيش الإنكشاري، والدفتردار، وغيرهم، إلى حضور مراسيم "الخرقة الشريفة"[٢]. وأما العلماء فيدعوهم شيخ الإسلام. بعد ذلك يقوم السلطان الخليفة أولاً بزيارة "الخرقة الشريفة" والأمانات المقدسة.

مراسيم الخرقة الشريفة

وفي الليلة الخامسة عشرة من شهر رمضان، كانت تقام مراسيم التنظيف التي تجرى في الجناح الذي يحتوي على الأمانات المقدسة، وكان السلطان يحضر هذه المراسيم بنفسه. حيث كان يتم تنظيف مبنى "خرقة السعادة" بأقداح مملوءة بماء الورد، وبقطع إسفنج نظيفة. كان الخليفة يقوم بغمس قطعة الإسفنج في ماء الورد وينظف مشبك "خرقة السعادة". ثم يقوم رجال الدولة البارزون بتنظيف جدران المبنى وأبوابه وشبابيكه. وإظهارًا للتوقير الشديد تجاه الأمانات المقدسة، فلم تُرمَ قطع الإسفنج وقطع الأقمشة التي يتم التنظيف بها، في المزبلة، بل كانت تحفظ في مكان مخصص.

وبعد إتمام عملية التنظيف، يبدأ اليوم الثاني بصلاة الفجر جماعةً في مبنى "خرقة السعادة". وقبل صلاة الظهر بساعتين، يقوم موظفو القصر بإخراج بردة الرسول ﷺ من صندوقها الفضي، ويضعونها فوق وسائد مطرزة

باللآلئ، ثم يعرضونها لأنظار الزوار.

كانت زيارة "الخرقة الشريفة" (أيْ بردة الرسول ﷺ) تتم بعد صلاة الظهر التي كانت تؤدى عادة في جامع آيا صوفيا. وبعد الصلاة ينتقلون إلى مبنى "الخرقة الشريفة". هنا يبدأ رئيس الأئمة بتلاوة القرآن الكريم، وبعده الإمام الثاني، ثم إمام غرفة الخرقة الشريفة، ثم المؤذن، ثم بعض قواد العسكر بالتناوب وهم وقوف احترامًا وتوقيرًا. كما كان الصدر الأعظم، وشيخ الإسلام، يشتركان أيضًا في مراسيم هذه الزيارة. كان السلطان يقف في أثناء هذه الزيارة بجانب صندوق الخرقة الشريفة، والصدر الأعظم على يمينه، ورئيس تشريفات القصر السلطاني على يساره. وبعد حضور جميع الزوار، يبدأ الإمام بتلاوة القرآن الكريم، ثم يقوم السلطان بفتح قفل الصندوق بمفتاح ذهبي، بعد ذلك يقوم بفتح الصندوق الملفوف بسبع قطع من القطيفة الموشاة باللآلئ وبالخيوط المذهبة. كما يوجد في الصندوق درج ذهبي بمصراعين، فيحتفظ السلطان بالمفتاح الذهبي لهذا الدرج. ثم يؤخذ الزر الموجود في ياقة البردة الشريفة ويوضع في قدح فيه كمية من الماء، فيسخن قليلاً، ثم يضاف إليه بعض العنبر، ثم يوضع على الموقد. ثم يضاف بعض الماء إلى الماء القليل المتبقي في القدح ويقدَّم هدية باسم "ماء الخرقة الشريفة"[٣].

hiragate.com

ويقوم السلطان بمسح وجهه وعينيه بالخرقة الشريفة إظهارًا لحبه للرسول ﷺ. ويروى أن معظم السلاطين كانوا لا يملكون أنفسهم من الاجهاش بالبكاء أثناء هذا المسح. ثم يسمح السلطان للآخرين بالزيارة.

كانت الزيارة تتم والكل وقوف، وذلك إظهارًا للتوقير والاحترام للرسول ﷺ. كان كل زائر يمسح وجهه بالبردة الشريفة، يردد الأدعية ويرجو شفاعة الرسول ﷺ. وبعد انتهاء الزيارة، يخرج الحاضرون؛ يخرج أولاً الأدنى مرتبة، ثم الأعلى منه مرتبة، وهكذا. وفي الأخير يخرج شيخ الإسلام، ثم الصدر الأعظم، ثم السلطان.

بعد زيارة المسؤولين الكبار وأركان الدولة، يبدأ أفراد الشعب بالزيارة. ثم يقوم أحد كبار موظفي القصر بغسل الجناح الذي مُسحت به الوجوه من البردة بماء الورد من طاسة ذهبية، ثم يجفف بعطر العنبر، ثم توضع البردة الشريفة وتلف في سبع قطع من قطيفة جديدة مطرزة باللآلئ، ثم توضع في محلها في الخزينة الذهبية. كانت هذه المراسيم تقام في خشوع كبير وتوقير عظيم؛ لأن الجميع كانوا يشعرون بسعادة روحية عارمة. ثم يقوم السلطان بقفل الخزينة والصندوق بنفسه.

كانت هذه المراسيم تجرى في كل عام، ينتشر خبرها في أنحاء العالم الإسلامي ويتردد صداها الواسع. ومع أن هذه المراسيم كانت تجرى سنويًّا، إلا أن الصحف كانت تفرد حيزًا كبيرًا في صفحاتها لنشر خبر هذه المراسيم بشكل تفصيلي.

واعتبارًا من عهد السلطان عبد المجيد لم يعد أيّ سلطان يسكن في قصر طوب قابي، إلا أنهم تركوا الأمانات المقدسة في مكانها في قصر طوب قابي، ولم يأخذوها معهم إلى قصر "دولمه باهجه"، ولا إلى قصر "يلديز"، ولكن لم يهملوا أبدًا الاشتراك في هذه المراسيم التي كانت تجري في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك. بل وشكلوا ألوية عسكرية خاصة لهذه الزيارة أطلق عليها اسم "ألوية الخرقة الشريفة". هذه الألوية كانت فخمة جدًّا في عهد السلطان عبد المجيد، والسلطان عبد العزيز. أما السلطان عبد الحميد فقد جعل هذه الألوية أكثر تواضعًا، وجعل طريق الزيارة إلى "قصر طوب قابي" عن طريق البحر وليس البَرّ؛ لأن طريق البحر كان أكثر أمانًا، ولا سيما بعد أن تعرض السلطان عبد الحميد الثاني لعملية اغتيال أمام جامع يلديز.

ماذا بقي من هذه المراسيم؟

بقي هناك تقليدان؛ أولهما دوام قراءة القرآن في الغرفة التي توجد فيها البردة الشريفة دون انقطاع ليلاً ونهارًا، والثاني فتحها في كل شهر رمضان لتنظيفها ثم غلقها

hiragate.com

حتى قدوم شهر رمضان في السنة التالية.

بعد انتهاء هذه المراسيم كان من التقاليد المرعية سابقًا إرسال "البقلاوة"[٤] وتوزيعها على الجنود. يرجع هذا التقليد إلى عهد السلطان سليمان القانوني؛ حيث كان يتم توزيع الأرز واللحم المقلي مع البصل مع بعض الحلوى، على الجنود في أوقات الخروج إلى الفتوحات لتقوية عزيمتهم. ثم تُرك هذا التقليد وتم الاكتفاء بتقديم الحساء والأرز والحلوى عند توزيع الرواتب والعطايا على الجنود.

اهتمام السلاطين بالعبادة

هناك مصادر ووثائق تاريخية عديدة سجل فيها مدى اهتمام سلاطين آل عثمان بالصلاة والصوم والتزامهم بأدائهما. ولكي يتمكّن السلاطين من سماع صوت مدفع الإفطار، ويروا القناديل في الجوامع ويبدأوا بالإفطار؛ فقد تم إنشاء بناية صغيرة مشرفة على خليج القرن الذهبي حيث كان السلاطين يفطرون فيها.

كان السلاطين يؤدون عبادتهم -عادة- في جامع القصر. فبعد سماع الأذان من جامع آيا صوفيا[٥] كان مؤذن القصر يرفع الأذان كذلك، فيأتي السلطان للجامع مع جميع موظفي القصر ويؤدون الصلاة. وقد كان موظفو القصر الكبار، يستقبلون السلطان في مدخل الجامع، حيث يدخل السلطان إلى الجامع ويتوجه إلى المقصورة الخاصة بالسلاطين، ثم تؤدى الصلاة جماعة. بعد انتقال الخلافة إلى آل عثمان، بدأ السلاطين بأداء هذه الصلوات في الجوامع الكبيرة التي شيدها أجدادهم، لذا بدأت عادة ترتيب مواكب الصلاة.

هذا وقد كان سلاطين آل عثمان يهتمون بعباداتهم في شهر رمضان المبارك اهتمامًا خاصًا، مثلهم في ذلك مثل جميع المسلمين الآخرين. وعادة ما كانوا يؤدون صلاة التراويح في جامع السليمانية، أو في جامع السلطان أحمد، أو في جامع آيا صوفيا، أو في جامع السلطان فاتح، أو في جامع السلطان بايزيد. وهناك روايات تقول بأن بعضهم كان يتنكر ثم يتجول في العديد من الجوامع والمساجد.

مراسيم ليلة القدر

في ليلة القدر، أي في أواخر شهر رمضان المبارك، يتم ترتيب موكب ومراسيم "ليلة القدر" في قصر طوب قابي؛ لأن السلطان كان يؤدي صلاة التراويح في أحد الجوامع الكبيرة خارج القصر. كان جامع آيا صوفيا في غالب الأحيان، هو الجامع الذي يصلّي السلاطين فيه التراويح في ليلة القدر. إذ كان الطريق بين قصر طوب قابي وجامع آيا صوفيا يضاء بالمشاعل. وقد كان

hiragate.com

موظفو القصر الكبار، يشتركون في هذا الموكب مع الموظفين الكبار الذين يشتركون في موكب السلطان لصلاة الجمعة. ولكن لم يكن السلطان يؤم الجماعة، بل كان يصلّي خلف إمام الجامع، ثم يعود الموكب بعد انتهاء الصلاة من الطريق نفسه إلى القصر.

مراسيم الإفطار القصريّة

كانت حفلات الإفطار في قصر طوب قابي في شهر رمضان مشهورة أيضًا. إذ كان من ضمن العادات والتقاليد، قيام السلاطين والوزراء وأركان الدولة الآخرون بتهيئة مآدب الإفطار. ومن المعلوم أن السلاطين كانوا يهيئون مآدب الإفطار، ويدعون إليها الوزراء والأمراء والسفراء الأجانب ورؤساء الأديان الأخرى. ومآدب الإفطار هذه، كانت من العادات المرعية، بدءًا من قمة المجتمع وانتهاءً بالطبقات الفقيرة.

كانت مآدب الإفطار العثمانية غنية بألوان الأطعمة، وتقدم ضمن الأصول العثمانية والتربية العثمانية الأصيلة والراقية، ويُشرك فيها الفقراء فتتجلى فيها صور التساند. وقد كان السفراء الأجانب المدعوون إلى هذه المآدب، ينبهرون بما يرون من ألوان الطعام والشراب، وبالجو الروحاني السائد فيها. لم يكن أصحاب الأديان المختلفة فقط هم مَن يحضر هذه المآدب، بل العديد من الناس من الطبقات الاجتماعية المختلفة أيضًا. كان الإفطار في قصر طوب قابي يبدأ بشرب القليل من ماء الزمزم مع التمر.

تأدية صلاة العيد

عندما يتم توديع شهر رمضان تنطلق حركة محمودة لاستقبال العيد؛ حيث يتم تشكيل موكب سلطاني لاستقبال العيد. كان هذا الموكب -لا سيما في العهود الزاهرة للدولة العثمانية- موكبًا عظيمًا يعكس هيبة الدولة العثمانية وقوتها ومجدها بجلاء. وغالبًا ما كان يختار السلطان جامع السلطان أحمد لصلاة العيد. وقد يتم اختيار جوامع أخرى كبيرة في أحيان قليلة، مثل جامع الفاتح، أو جامع بايزيد، أو جامع السليمانية، أو جامع "نوري عثمانية"، أو جامع آيا صوفيا. أما موظفو القصر فكانوا يصلّون العيد في أغلب الأحيان، في جامع آيا صوفيا، ويعودون مسرعين إلى القصر لإنجاز كل ما يتطلبه التهيؤ للعيد.

وبعد انتهاء مراسيم العيد أمام باب السعادة (أي باب قصر طوب قابي)، يركب السلطان جواده المزين سرجه بأنواع الجواهر ويرجع إلى القصر. يقف الصدر الأعظم والوزراء، لاستقبال السلطان بعد دخوله من الباب، ثم يركبون خيولهم ويمشون في ركابه وهو في طريقه إلى الجامع. كان المكان الذي يصلّي فيه السلطان في الجامع، يهيأ من قبل مسؤول الخزينة (خزيندار باشي)، إذ يرافق الصدرُ الأعظم السلطانَ حتى موضع السجادة التي سيصلّي عليها، ثم يقوم برفقة السلطان أثناء الرجوع حتى الباب الأوسط. بعدها يتم تناول طعام العيد في موضع اسمه "تحت القبة" (قبه آلتي) في القصر.

حاولنا هنا وصف المراسيم والتقاليد التي كانت سارية في ثقافتنا وتاريخنا عند الاحتفال بشهر رمضان المبارك في قصر طوب قابي العثماني. وأرى كمؤرخ ضرورة إحياء هذه التقاليد وإن كانت بصورة رمزية، ذلك لأن هذه التقاليد مهمة؛ بحيث لا يجوز دفنها في طيات التاريخ وصحائفه. ■

(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: أورخان محمد علي.

الهوامش

(١) الأمانات المقدسة: هي الأمانات المحفوظة عن الرسول ﷺ وعن بعض الأنبياء ﷺ، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. (المترجم)

(٢) الخرقة الشريفة: وهو جناح يحتوي على بردة رسول الله ﷺ محفوظةٍ في خزانة من فضة في "جناح السعادة" في قصر طوب قابي. (المترجم)

(٣) لم يكونوا يستطيعون غسل البردة الشريفة، لذا توسلوا إلى هذه الطريقة للحصول على ما أطلقوا عليه اسم "ماء الخرقة الشريفة" وذلك بوضع زر موضوع في ياقة البردة ثم وضع هذا الزر في الماء وغليه قليلاً. علمًا بأنه تم العدول عن هذه المراسيم بعد عهد السلطان محمود الثاني. (المترجم)

(٤) نوع من الحلوى. (المترجم)

(٥) جامع آيا صوفيا قريب جدًّا، بل ملاصق تقريبًا لقصر طوب قابي. (المترجم)

أسامة سعيد محمد*

ووضع الميزان

ليس الغريب أن تعرف أن جميع عناصر الطبيعة متزنة، بل الغريب أن تعرف أن هذه العناصر تسعى دومًا للاتزان. أيْ، إذا تدخّل الإنسان -كالمعتاد- لتغيير نسب هذه العناصر، فإن الطبيعة تستطيع أن تتغلب على هذا الاختلال.

لنتحدث في نطاق ضيق كي نتمكن من فهم الأمر بشكل أعمق: الجميع يعرف أننا إذا رششنا عطرًا في أحد جوانب الحجرة، فإن كثافة الرائحة تكون أعلى في هذا الجانب، ولكنها سرعان ما تنتشر في الغرفة لتصبح كثافتها متجانسة في كافة أرجاء الحجرة، وليتزن النظام. والجميع يعرف أيضًا أننا إذا وضعنا بعض الملح في الماء، فإن جزيئات الملح سرعان ما تنتشر فيه.

فلنعلب مع الملح إذن، لمنع حدوث هذا الاتزان: سنضع غشاءً شبه منفذ في وسط إناء به ماء (الغشاء يسمح بمرور الماء ولا يسمح بمرور الملح). ثم سنضع بعض الملح في أحد جوانب الإناء؛ فيحاول أن ينتشر في سائر أنحاء الماء، ولكنه لن يستطيع لأن الغشاء سيمنعه بالتأكيد.

لا بأس، فالطبيعة تستطيع أن تتغلب عليك، وتصل إلى الاستقرار مهما كان الوضع؛ فإذا كان الملح لا يستطيع الانتقال، فالماء يستطيع.. إذ نفاجأ بأن الماء ينتقل من الجانب الذي يكون تركيز الملح به أقل، إلى الجانب الذي يكون تركيز الملح به أكبر، وذلك ليصبح تركيز الملح متقاربًا بين الجانبين. وتسمى هذه الظاهرة "الظاهرة الأسموزية"، وهي التي تساعد

النبات على امتصاص الماء من التربة. كما أنها أيضًا تساعد الشعيرات الدموية الوريدية على امتصاص الدم بعد أن يغذي الخلايا. ويستخدمها الإنسان أيضًا كطريقة لفصل الملح عن الماء (تحلية ماء البحر). ربما يعدّ هذا مثالاً بسيطًا لتوضيح الأمر، ولكننا إذا انتقلنا من الفيزياء إلى جانب الفسيولوجيا، فسنجد من أمثال هذا الكثير، ولكن بشكل أكثر تعقيدًا. فلنأخذ ضغط الدم مثالاً؛ عندما يكون الإنسان مستلقيًا، يكون ضغط الدم متساويًا في كافة الشرايين الطرفية، وذلك لأنها كلها في مستوى أفقي واحد، ويكون النظام متزنًا حسب قوانين الفيزياء.

أما إذا همّ الشخص بالنهوض، فبالتأكيد سيكون رأسه في مستوى أعلى من سائر جسده، وتقرر الفيزياء أن ضغط الدم في الرأس يكون أقل ما يمكن، وفي القدمين يكون أكبر ما يمكن؛ فلا يصل القدر الكافي من الدم إلى المخ، ويصاب الإنسان بالإغماء وربما يموت.

بالتأكيد لا يحدث هذا، فالفسيولوجيا تقول كلمتها، ولا تسمح باختلال الاتزان أبدًا، حيث ترسل الحساسات الموجودة في الشرايين، إشارات إلى المخ لتخبره بأن الضغط يقل، فيرسل المخ إشارات ليقوم بقبض الشرايين التي قل فيها الضغط، فينقصان قطر الشريان؛ عندها تزداد سرعة الدم فيه -كما تنص معادلة الاستمرارية في حركة الموائع- ليصل الدم بسرعة إلى الأجزاء المرتفعة من الجسم، ويعود الوضع إلى الاتزان من جديد. وهذا يفسر لنا ما نشعر به أحيانًا من الدوار، وربما الإغماء بعد الاستيقاظ من النوم والقيام مباشرة وبسرعة من السرير.

فالحساسات لم تعمل بعدُ، ولكنها ما إن تعمل حتى يشعر الشخص بزوال الدوار مباشرة. يحدث هذا كثيرًا في جسد الإنسان وخارج جسده، وذلك لأن الميزان الذي يضبط الكون هو ميزان دقيق وضعه الله، وأمرنا أن نحافظ عليه: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلاَّ تَطْغَوا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾(الرحمن:٧-٩). ■

(*) كاتب وباحث مصري.

الأقفال والمفاتيح

لكل مِغلاقٍ مفتاح،
ولكل بابٍ مِزْلاج..
فإيّاك أن تَغلَط،
فتخطئ مواضعَ المفاتيح،
من الأقفال التي تريد،
فتستعصي عليك..!
فلِوُلوج القلوب وطَرْق أبواب الأرواح،
أسلوبٌ غير أسلوب فتح أبواب الدنيا..
تعلَّمْ -إذن- أدبَ الولوج إلى كل باب،
تنفتح لك كلُّ الأبواب.

* * *

أديب إبراهيم الدباغ*

الإنسان والإيمان

لا يزال "فتح الله كولن" يواصل فتوحاته في مجاهيل عالَم الوجدان البشري، ويبني ما يتداعى من جوانب هذا الوجدان على أساس من "معرفة الله". وهو يأسف في الوقت نفسه لأولئك الذين يحرصون على إبقاء "البشرية" اليوم في جوع روحي أبدي ولا يريدون أن ينقضي أو أن ينتهي.. مصمين آذانهم، ومديرين ظهورهم لصرخات الألم التي يطلقها هذا الوجدان، مما تعاني منه أشواقه الرفيعة من اختناق ومن ضغوط وقيود.

إن الفوضى الأخلاقية العارمة التي تجتاح العالَمَ اليوم، مردّها إلى فراغ الوجدان من المعرفة الإلهية لدى إنسان اليوم، وتنكره لمناقب الخير والعدل والحق، التي أرسى عليها الله تعالى قواعد عالمي الغيب والشهادة.

فـ"كولن" لا ينفكُّ يحذّر الإنسان من أن هروبه من الله تعالى، سيدفع به إلى متاهات هائلة يغيب فيها عن نفسه طوال حياته؛ فيرى نفسه -والكون معه- عبارة عن خليط عشوائي مضطرب تحركه قوى عمياء لا تدرك شيئًا مما تفعل.

فالبشرية اليوم غارقة في طوفان من الأفكار والمعتقدات، غير أن غالبية هذه الأفكار والمعتقدات لا تبدي الاهتمام المرجو بقضايا الإيمان والوجدان، وتقف في أخصب أفكارها وأبعد أفاقها عند عتبات المتناهي والنسبي في القضايا التي تعالجها، الأمر الذي سبب للبشرية مزيدًا من الالتصاق بالأرض والتمرغ بترابها، والمزيد من الاختناقات الوجدانية والإيمانية، والمزيد من التعطش الروحي الذي يكاد يبلغ حدَّ الاحتراق.

إن خمود الجذوة الانفعالية في الوجدان البشري بقضايا الربوبية والألوهية، هو موت لهذا الوجدان، وبالتالي فهو موت للإنسان في أسمى جوانبه الإنسانية والأخلاقية. فافتقار الوجدان لهذه المعاني العالية التي تحبب إلى نفسه جنس الإنسان، قد ينقلب إلى حقد وكراهية ضده، كما لمسنا ولا زلنا نلمس ذلك في الأيدولوجيات التي تعتمد فلسفة الإنكار والجحود محورًا لسلوكياتها الإنسانية مع نفسها ومع العالم من حولها. فالإنسان إذا ما وعى حقيقة إنسانيته، لا يستطيع قبول وجوده الأرضي من دون أن يكون على صلة بوجودات أخرى؛ تعطيه الأمل بالبقاء والخلود الأبديين، واللذين يمثلان تبريرًا ميتافيزيائيًّا لوجوده فوق هذه الأرض. فالنفس لا تشعر بأنها حية ومفعمة بالحياة، إلاّ إذا ارتعشت بكليتها وهي في حالة تماس روحي مع العوالم الغيبية التي تظل ترسل

بإشعاعاتها إلى ظلمات قلوبنا؛ لعلَّنا ننتبه إليها ونقوم بالانحناء تعظيمًا لها وتقديرًا وشغفًا بالجلال والجمال اللانهائيين اللذين تتجلى بهما على عالمنا الأرضي. وقد يدفعنا هذا الشغف العارم إلى أن نرسل أرواحنا وإراداتنا بعيدًا، لكي يصبحا جزءًا لا يتجزأ من روح هذه العوالم وإراداتها.

ويرى "كولن"، أن الوجدان البشري له من السَعَة ما يستطيع بها احتواء جميع الأفكار التي تجول في عقل الإنسان. وفي هذا الوجدان تتأصل هذه الأفكار، وتصبح مكينة فيه بحيث يستحيل استئصالها منه. فالأفكار المستنبتة في حديقته، تستعصي على كل معاول الهدم من قبل الملحدين والجاحدين، وعلى العكس من ذلك الأفكار التي ليس لها سند وجداني.

وأغلب ظني، أن هذه الفكرة هي التي بنى عليها "كولن" قواعد كتابيه الفذّين "ونحن نقيم صرح الروح" و"نحن نبني حضارتنا". فهذان الكتابان في المحصلة النهائية، هما عبارة عن مزيج عجيب من العقل والوجدان، يترادفان ويمشيان معًا خطوة بخطوة. و"كولن" يرى كذلك أن للحياة نفسها عقلاً وأفكارًا، ولها نبضًا ووجدانًا، وإن كانت هذه الأفكار قد حولتها الحياة إلى سنن ونواميس ودساتير، فالدخول إلى باحة الحياة من دون الاستئذان من هذه النواميس والدساتير والسنن، مغامرة لا تحمد عقباها، وربما غضبت علينا الحياة وطردتنا من موطنها إلى الأبد.

أما أصحاب الوجدان الرفيع، فهم على الدوام موضع ترحيب من الحياة؛ لأنهم يظلون يضربون في معارج الرقي ولا يقفون عند حد، بل يمضون حيث يمضي بهم هذا الرقي ولسان حالهم يقول: خلُّوا سبيلنا ودعونا نضرب في الأعالي، وإلى حيث ينتهي بنا المطاف إلى "قاب قوسين" أو أدنى من روح الوجود وقمة الخلود. وهناك يخرُّون سجّدًا شاكرين الخالق الذي وهبهم هذا الوجدان الكبير وقد سما بهم هذا السمُّو العظيم. وأمثال هؤلاء، هم الذين سيبعثون في البشرية القوة والأمل لمواصلة حياتها في إطار من الخلُق والفضيلة والإيمان.

هذا الإيمان المتسامي المتَّسع لكل الأفكار الطاهرة والصادقة، حتى إنه ليرسل في كل نبضة من نبضاته دفعة حياة من منابع الأبدية إلى روح الإنسان ليحيا بها ويتغذى عليها، دافعة إياه في الوقت نفسه، للالتفات الجاد نحو الكون والكائنات من حوله، وعقد صلة وُدٍّ وتعارف بينه وبينها، فما أسرع -عند ذاك- ما تأتيه الأفكار شُرّعًا لتزيد في اتساعه وعمقه، فيظل في لهفة محمومة إلى المعرفة طوال حياته يتساقاها كأسًا بعد كأس، وكأنه في يوم عيد مهرجاني يتهادى فيها الأفكار، وكأنه قد قام للتَّوِّ من شلل روحي وسُقم نفسي. فالفكر الذي كان قد استحوذ على عقل "كولن" ووجدانه في فترة التأمل ومراجعة النفس، واستولى على معاقد فكره وانسرب إلى طوايا نفسه وخلايا عقله، انبثق عنه من خلال لهب فكري مضيء، يلقح الأنفس والعقول والأرواح، ويدفعها لتخوض تجربة روحية جديدة في دورة انبعاثية، للخلاص من شقائها القتَّال المميت. فأفكاره العالية وإن كانت غاية في السمو والعلو، إلا أنها طريقة حياة، وأسلوب عيش مختلف عن كل ما تعرفه هذه الشعوب من طرق حياة وأساليب عيش.

فإذا كانت الأمم تفخر وتتباهى بأعظم أحداث تاريخها، غير أنها لا زالت ترى الحدث الأكبر هو أن ينجم من بين صفوفها "الرجل المفكر" القادر على إخراج فكرها من تشبثه وفوضويته، وانبعاث ما اندثر من وجدانها، وإرواء ما جفّ من خيالها ومشاعرها، فيمسك بأزِمة أفكارها، ويبتعث أضوأ أيام تاريخها، ويعيد إليها نفسها الضائعة، وذاتها الذائبة، وهويتها المسلوبة، وقدراتها المشلولة.. إنه فاتح أفكار، وباعث أرواح، ومشعل أضواء، ومثير أشواق.

وأي مؤرخ يريد أن يؤرخ لتاريخ الفكر في تركيا الحديثة، فإنه -بلا شك- سيرى في "فتح الله كولن" واحدًا من أكثر مفكري تركيا تأثيرًا في فكر شعبها ووجدانه، وكذلك في فكر ووجدان كل مَن تنسنى له الاطلاع على كتبه وكتاباته. ■

(*) كاتب وأديب عراقي.

hiragate.com

د.فؤاد البنا*

العاقل مَن يبادر إلى رأب الصدع وتجديد العهد وتعزيز الأواصر حالما تنشب بينه وبين محيطه وخلاّنه نزاعات.. والأعقل مَن لا يدع للشيطان منفذًا يتسلل منه ليزرع بذور الفتنة والقطيعة بينه وبين أصحابه وخلاّنه أبدًا.

الموازين

ما أصعب الاستقامة في منطقة الوسط

في المجتمعات ذات الوعي المرتفع والفكر الراشد تسود قيَمُ النسبية، وتشيع أخلاقُ التواضع، وتندُر ادعاءاتُ امتلاك الحقيقة المطلقة، ويميل أغلب الناس إلى التوسّط، ويقفون مع أهل الاعتدال.

وبصورة عامة، فإن الوعي الجَمْعي وثقافة الائتلاف، يصنعان مجتمعات تتسم بالتسامح والتغافر، فتصبح شديدة التماسك، قوية التلاحم، لا يؤدي تعدُّد تياراتها ومكوِّناتها إلى تفرّقها، ولا يُفسد اختلافُها للوُدّ قضية، ولا يدفعها التنافس في برامج البناء والتطوير إلى الاختلاف في المناهج، ولا يُلقي بها تنوُّعها في المتغيرات إلى هاوية التنازع في الثوابت.

وفي أسوإ لحظات الاختلاف بين مكوِّنات المجتمعات المتطورة، ينقسم الناس وفق رُؤاهم من قضية ما، إلى ثلاثة تيارات أساسية، يقف تياران صغيران في الطرفين النقيضين، ويحتل التيار الأكبر مساحة الوسط العريضة

إن الوسطية تعبيرٌ عن القواسم والمصالح المشتركة بين سائر المختلفين، وتُمثِّل قاعدة للوعي الجمْعي الذي يصنع مداميك الوحدة، وتُوفِّر أساسًا متينًا للائتلاف الاجتماعي. ولذلك صارت الوسطية مثْوى العقلاء، ومؤْئِل الحكماء، ومهْوى عقول غالبية الناس ومهْبط تحليقهم.

حيث الاعتدال والنظرة الشمولية للحقائق، بسبب تعدد زوايا النظر واتساع آفاق الرؤية.

في هذه المجتمعات تتجسد بالفعل لا بالشعار، قاعدة "الاختلاف في الرأي لا يُفسد للوُدّ قضية".

وفي بعض الظروف قد لا يتفق اليمين مع اليسار، وقد لا يقبل المحافظون التعاون مع الحداثيين، لكن كلا الطرفين يندفعان للتعاون مع التيار الوسطي العريض، بمعنى أن الوسطية محل ثقة وتقدير الجميع.

ذلك أن الوسطية تعبيرٌ عن القواسم والمصالح المشتركة بين سائر المختلفين، وتُمثِّل قاعدة للوعي الجمْعي الذي يصنع مداميك الوحدة، وتُوفِّر أساسًا متينًا للائتلاف الاجتماعي. ولذلك صارت الوسطية مثْوى العقلاء، ومؤْئِل الحكماء، وصارت مهْوى عقول غالبية الناس ومهْبط تحليقهم. وفرضت الوسطية على التيارات الطرفية التقارب والتآلف، لأنها إن لم تفعل سيتجاوزها السواد الأعظم من الناس.

أما في مجتمعاتنا المتخلّفة، فما أصْعبَ الوقوف في الوسط، حيث البقاء على مسافة واحدة من الجميع، وما أتْعبَ الاستقامة على متطلبات الموضوعية والإنصاف.

ذلك أن احتكار الجميع للحق، وادعاء الكُلّ امتلاك الحقيقة المطلقة، ونظرهم إلى أهل الوسطية من سَمّ الخِياط، يُسلِّط عليهم ضغوطًا قوية تصير مع تتابع القضايا والمواقف رياحًا عاتية، تحاول اقتلاع المعتدلين من جذورهم الوسطية، حيث إن أهل الوسط أقرب للجميع، ولسان حال الجامدين والجاحدين يقول: "الأقربون أولى بالإيذاء"!

ما أصعب العيش الآمن في بلداننا على أهل الوسطية والاعتدال، حيث يستهدفُهم دعاةُ الأصالة المزعومة وأدعياءُ المعاصرة الموهومة، يتهمهم الحداثيون بالجمود ويرميهم التراثيون بالجحود، يتهمهم التغريبيون بالتخلّف ويقذفهم التقليديون بالتّغرُّب، يحاربهم العقلانيون تحت بيارق المعاصرة ويشُنّ النّصِّيون عليهم الغارة تحت رايات الأصالة!

ما أفْدَحَ ضريبةُ الوسطية والاعتدال في مجتمعاتنا العنكبوتية التي تتنازع تياراتُها الحقيقة حتى جعَلَتْها عِضين، وتتجاذب مُكوّناتُها ثوْب الحق حتى مزّقتْه!

فها هنا يختلف المتطرفون على كل شيء إلا على معاداتهم لأهل الوسطية، وتتنافر بوصلاتُهم في التوجهات لكنها تتظافر إذا توجّهوا نحْو ضرْب الوسطيين، وتتآكل طاقاتهم في كل واد لكنها تتعاون ولا تتعادى إذا وصلوا إلى وادي الوسطية.

هذا الكلام ينطبق بالطبع على الكيانات والكائنات الوسطية على حد سواء، وتَلَفّتوا حولكم لتروا كَمْ هي التيارات الوسطية مُنهَكة ومُثْخَنة؛ إذ تطعنها رماحُ الجامدين وتقذفها صواريخ الجاحدين، كأنها تُكفّر عن أخطاء الجميع، وتدفع ضرائب الكل، ولا تزال مستهدفة إذا تحالف المتطرفون أو تحارب المتباينون.

ورغم هذا الواقع الشديد المرارة، فإنني واثق أن حرارة المحن وسخونة الأحداث، كفيلةٌ -إن شاء الله تعالى- بالغرْبلة والفرْز، وقمينةٌ بإنضاج الكثير من العقول، والدفع بالمزيد من أهل الكفاية والكفاءة نحْو ثغور الوسطية.

سيؤدي توسيع دوائر الوعي ومراكمة آكام الخبرات، إلى هجرة أفواج من المتطرفين نحو الاعتدال، لتكتمل الكتلة الحرجة التي يحتاجها الإقلاع الحضاري المنشود، فيصبح البقاء صعبًا في طرفي التطرف، وسيجد أغلب الناس ضالتهم في الوسط، ملتقين على ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، الكلمة التي تَنْسج حروفَها ثقافةُ الوسطية وفكر الاعتدال. ■

(*) أستاذ الفكر الإسلامي السياسي، جامعة تعز / اليمن.

hiragate.com

د. عبد الإله بن مصباح*

أثر الخمول والاندفان على تألق اللؤلؤ والمرجان

يُعد اللؤلؤ والمرجان من أنفس الحُلي والمجوهرات التي عظمها الإنسان. بل وذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، واصفًا بها محاسن الجنان. فهذه النفائس التي نالت قيمتها العالية من ندرتها وجمال منظرها تُستخرج من أعماق البحر، حيث تتكون في ظروف جِدُّ دقيقة وتحت شروط بالغة التعقيد. فهي تنتج عن تكثفات معدنية من أصول حيوانية، تتصلب فيها المكونات الكيميائية بفعل تماسك جزيئات معدنية، ناتجة عن تفاعل كلي لا يتم إلا إذا توفرت شروط فيزيائية وكيميائية وحيوانية ترتبط أساسًا بالاستقرار الطبيعي للوسط البحري الذي تتكون فيه. فاللؤلؤ لكي ينشأ في الصدف البحري، يجب أن يتبلور انطلاقًا من أكسيد كربون الكالسيوم الذي يفرزه المحار حول حبة دخيلة عليه يعزلها في زاوية بين صدفتيه. ونحن نعرف أن هذا الصدف، لا يمكن له أن يستقر في قاع البحر إلا إذا وجد مستندًا ثابتًا يرتكز عليه كسطح صلب أو دعامة راسية يتعلق بها، ولا يمكنه أن يثبت على الأتربة المتحركة كالطين أو الرمل. وهكذا فاللؤلؤة هي حبة تتبلور دفينة في الصدفة الثابتة، حيث تتحول بفعل التأثيرات الكيميائية والحيوانية القارة، لتصير جوهرة نفيسة متلألئة.

أما المرجان فهو هيكل حيواني، لا ينمو دفينًا في جسم آخر، ولكن على سطح حجري تماسك بفعل تكثفات عضوية لحيوانات عاشت دفينة فيه ثم ماتت وأقبرت فيه. فهو أيضًا إفراز معدني من أصل حيواني، يحصل في قاع البحر تحت ظروف قارة، ينتج عنها تكوّن المرجان في شكل شعب رصيفية تزدهر في البحار الدافئة والهادئة، مشكّلة بذلك حواجز ساحلية في المياه الضحلة، أو جزرًا مرتفعة في البحار العميقة.

وتتم العملية وفق تسلسل مرحلي يضمن تهيؤ الأرضية الصالحة لنموِّ واستقرارِ الكائنات، حتى يتسنى إقامة النصب المرجاني. وهذه المراحل تبدأ بعملية تثبيت القاع عن طريق تماسك حباته بواسطة إفرازات كائنات مختلفة تعيش دفينة بين هذه الحبات فتساهم خلال حياتها -وكذلك بعد موتها- في مسك المكونات الرسوبية لقاع البحر. وبالتحام هذه التوضعات، تتصلب الأرضية وتصير صالحة لتثبيت جذور الباقات المرجانية التي ستنمو عليها. ثم تأتي مرحلة التألق التي تنتهي في أزهى حللها بنصب مرجاني على سطح متراص هيأه تواجد الكائنات الدفينة فيه، التي لمّت شتات رواسبه وأدمجتها لإقامة البناء.

وهكذا، فهذان العنصران -اللؤلؤ والمرجان- لا يمكن لهما أن ينموا في الأوساط البحرية المضطربة بفعل التأثيرات الخارجية التي تؤجج التيارات وتحدث التغيرات، لأنهما يتطلبان درجة عالية من الاستقرار في مكونات الوسط البحري حتى يتواجدا فيه. أما تلك الأوساط البحرية غير المستقرة التي تشهد كثرة التغيرات في عواملها الفيزيائية والكيميائية، كالمناطق الساحلية التي تلتقي فيها البحار مع الأنهار أو مع المؤثرات القارية الأخرى، فلا تجد فيها سوى الكائنات الدفينة التي تعيش داخل مسالك، تحفرها في عمق الرواسب حتى تحتمي من الاضطرابات التي تفد على وسطها من هنا وهناك.

إن الأوساط التي تطبع خصائصَها التقلبات، لا يمكن لها أن تحتضن اللؤلؤ والمرجان، بل ونجد المرجان يتخذ تأقلمات تضمن له حماية أكثر ضد أي طارئ محتمل.

اللؤلؤة هي حبة تتبلور دفينة في الصدفة الثابتة، حيث تتحول بفعل التأثيرات الكيميائية والحيوانية القارة، لتصير جوهرة نفيسة متلألئة.

وهذا ما عاينتُه عن قرب في إحدى بيئات المروج التي تلتقي فيها مياه البحر المالحة مع مياه البر العذبة، حيث لاحظتُ أن عيش الاندفان (Endobenthique) يكاد يكون هناك هو السائد[1]. فلجوء الكائن إلى دفن ذاته، يصير إلزاميًّا في مثل هذه الأوساط، حتى يمكن له أن يضمن استقراره. ولعل هذا النمط من العيش، هو ما يمكّن الكائنات من التأقلم أكثر مع التغيرات التي تطبع هذه الأماكن المضطربة من جراء خضوعها لتأثيرات البحر والبر. فهناك تتداخل التأثيرات البحرية مع البرية، فتعطي تقلبات ينجم عنها اضطرابات في مكونات ذلك الوسط. الشيء الذي ينعكس سلبًا على استقرار كائناته الحية التي باندفانها في عمق الرواسب، تحمي نفسها من التيارات المائية التي يمكن أن تقتلعها، كما أنها تحتفظ بدرجة ملوحة قارة وكذلك بحرارة متوسطة. وهذا هو السر في لجوء الكائنات -في مثل هذه البيئات الصعبة- إلى دفن ذاتها. والسر كذلك في انعدام أي شكل من أشكال التألق للكائنات التي من شأنها أن تنتصب فوق سطح الثرى.

وعلى هذا الأساس، فالأوساط التي تطبع خصائصَها التقلبات، لا يمكن لها أن تحتضن اللؤلؤ والمرجان، بل ونجد المرجان -حتى في الظروف الملائمة- يتخذ تأقلمات تضمن له حماية أكثر ضد أي طارئ محتمل. وهذا ما أدركتُه في مجال دراسة ميدانية قمت بها لمرجان رصيفي متحجر في إطار إعادة تقويم الحالة التي كانت عليها بيئة سفوح الريف الجنوبية بالمغرب،

hiragate.com

خلال العصر الجوراسي الأوسط (أي قبل حوالي ١٢٥ مليون سنة)[٢]. ففي هذه المعاينة، وجدتُ أن الرصيف المرجاني تكوّن من شعبة مرجانية مركزية، مؤلفة من باقات كثيفة وباسقة كانت محاطة بأنواع مرجانية مصفحة (Lamellaires Polypiers) في شكل حزام واقٍ يلتف حول الشعبة المركزية.

وهذا دَلّني لمّا تعرفتُ على خصائص كل جزء من هذا الرصيف، على أن البناء المرجاني ابتدأ بإقامة نصب مركزي نمت فيه الأغصان في تشعبات باسقة. إلا أن تكاثر هذه الأغصان حتّم على الحيز المرجاني تكوين سياج وقائي لحجب الكتلة المركزية عن التيارات المائية الجانبية، وعن التدفقات الرسوبية التي من شأنها أن تكسر الأغصان وتطمر الأجسام المرجانية. وهكذا، باصطدامها مع هذه الأنواع المصفحة من المرجان، التي تتكاثر على الجوانب، تتكسر التدفقات الإعصارية وتفقد قوتها فلا تؤذي الباقات المركزية.

بالإضافة إلى هذه الأصناف من المجوهرات، نجد أن الماس الذي هو أنفَسها، هو أيضًا تركيبة معدنية من ذرات الكربون، لا يتكون إلا إذا تمت عملية اندماج ذراته تحت ضغط عالٍ يصل إلى ٥٠ كيلوبار، أي ما يعادل خمسين ألف مرة الضغط الموجود على سطح الأرض. وهذا الضغط الشديد، لا يتوفر إلا في أعماق الأرض تحت ١٢٠ إلى ١٥٠ كلم من السطح، مما يعني أن الماس بدوره لكي يتكون في المناجم، يجب أن تتبلور ذراته دفينة تحت كل هذا السمك الهائل من الصخور، وهو ما يفسر كون الماس غالبًا ما يستخرج من أنقاض القارات المتقادمة (Cratons) التي تكونت في هذه الأعماق من الأرض، ثم برزت مع الزمان على ظهرها بفعل عمليات التعرية.

وهكذا، فما استقيتُه من دلالات هذه الأنماط المعيشية للكائنات الطبيعية، إنما ينبع من محاولتي تقريبَ القارئ من حقيقة النموذج المثالي الذي أقره الله تعالى على هذه البسيطة، حتى يضمن استقرار كائناتها وحسن نتاجها. فلئن كان اللؤلؤ ينمو مختبئًا داخل صدف المحار في معزل عن متغيرات المكان،

اللؤلؤ كي ينشأ في الصدف البحري، يجب أن يتبلور انطلاقًا من أكسيد كربون الكالسيوم الذي يفرزه المحار حول حبة دخيلة عليه يعزلها في زاوية بين صدفتيه. فاللؤلؤة هي حبة تتبلور دفينة في الصدفة الثابتة، حيث تتحول بفعل التأثيرات الكيميائية والحيوانية القارة، لتصير جوهرة نفيسة متلألئة.

حراء

والمرجان يتكاثر وينبسط باسقًا على سطح متراص هيأت أرضيتَه الكائنات الدفينة التي شدّت بنيانه حتى ينتصب عليه المرجان، ثم يُلف في وسط سياجه الواقي من كل مؤثرات المكان، وكان الماس لا ينضج إلا دفينًا في أعماق الأرض، فلأن مرحلة التألق والازدهار لا بد أن تسبقها مرحلة التأسيس والاستقرار.

وهذا هو شأن كل كائن حي موجود على ظهر هذه البسيطة، من النبات إلى الحيوان إلى الإنسان، لا بد لكي تتألق معالمه، من أن يمر بمرحلة الاندفان، التي فيها تتم عملية التأسيس لبناء الذات. وذلك مفهوم البنيان الحضاري، فهو متماسك بعمل أفراده كما تماسك الثرى بفعل إفرازات ساكنته الدفينة فيه، التي -كما رأينا- هيأته لصالح الإنبات. فإذا توقفت حياة الإنسان، بقيت أعماله الصالحة حية يُنتفع بها، تمامًا كما كان يُرجى نفعها

المرجان هو إفراز معدني من أصل حيواني، يحصل في قاع البحر تحت ظروف قارة ينتج عنها تكوّن المرجان في شكل شعب رصيفية تزدهر في البحار الدافئة والهادئة.

hiragate.com

لغيره في حياته. فهي بمثابة ذلك البناء الذي شيّدته تلك الكائنات التي دفنت نفسها في أرض الخمول، ليقوم على أنقاضها صرح التألق والقبول. وكما أن صاحب تلك الأعمال يبقى مُثابًا عليها ما دام نفعها ساريًا على غرار الصرح المشيد الذي يبقى قائم البنيان، فكذلك غيره ممن سيأتي بعده، يظل منتفعًا بها معترفًا بفضل من سَنَّها، فيستقي منها ويدعو لصاحبها.

وذلك مدلول صيرورة الأعمال في البناء الحضاري. فهي كالبذرة الطيبة التي دُفنت في التربة الطيبة، عطاؤها لا يبلى ونتاجها لا يفنى، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها الذي بارك في غرسها بأن جعله ثابتًا في الأرض، وفي ينعها بأن جعله باسقًا في السماء.

هذه الاستنتاجات التي استخلصتُها من المعاينات الطبيعية، وجدتُها تلاقت من زوايا كثيرة مع العرض القيم للأستاذ نوزاد صواش عن سر تجربة الأستاذ فتح الله كولن، الذي قدمه تحت عنوان "المعرفة وسر الأمواج الصاعدة من القاع في التغيير الحضاري"؛ حيث بيّن بنعومة أسلوبه، كيف ركزت تجربة الخدمة على محور العمل التربوي في صناعة إنسان القيم، والانفتاح والتسامح الذي هو أساس البناء الحضاري.. وكيف أن التغيير لا يأتي إلا من العمق الداخلي لهذا الإنسان، كشأن البحر لا يتغير إلا بالتيارات الصاعدة من عمقه، أما التيارات والأمواج السطحية الآتية من هنا وهناك فلا تُغيّر، لأنها من صناعة الرياح التي تهب من كل مكان. فكان ذلك التلاقي مكمّلاً للمشهد الذي أردنا تجسيده بخصوص ما يجب أن يكون عليه الإنسان المؤسس للبناء الحضاري.

وهذه نظرة عميقة لسر التغيير، أراها تتلاقى مع ما سبق أن قدمناه بخصوص مضمون حكمة ابن عطاء الله، حيث: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١). فإذا لم ينطلق التغيير من الكيان الداخلي للإنسان الذي هو قلبه، واعتمد فقط على ما يأتي من الخارج، فسيجد الإنسان نفسه في مهب الرياح التي ستجعله يدور في فلك غيره، فيهيم بذلك في متاهاتٍ تُبعّده عن النظام العام الذي أقره الله تعالى لهذا الكون، والذي يقول في حقه سبحانه: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(يس:٤٠). فلا الشمس ينبغي لها أن تسبح في فلك الأرض، ولا الأرض في فلك القمر، بل لكلٍّ فلكٌ يجب أن لا يحيد عنه. فإذا سبح الإنسان في فلك غيره، فإنه لن يدور أبدًا في فلكه، وبالتالي كل ما سيظهر عليه إنما هو من تجليات غيره وليس من عمق كيانه، لأنه كما أجمل ذلك العارف بالله أحمد بن عجيبة رحمه الله: لكلٍّ قيض الله كنزًا "لكن ما دُمتَ مُتّكلاً على الحفر في كنز غيرك، فلن تحفر أبدًا على كنزك"[٣]. ومن ثم لا يمكن لأمة أن تبني حضارتها على نماذج مستوردة لا يعبر فيها الإنسان عن عمق ذاته تمامًا، كما لا يمكن للبحر أن يُعطي الحياة من الأمواج السطحية، لأنها لا تحمل إلا الزبد الغثاء الذي تحركه الرياح الآتية من كل جهة كما قال ربنا ﷻ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾(الرعد:١٧). أما التغير الصحيح النافع الذي هو أساس البناء الحضاري، فلا تأتي به إلا أمواج القاع التي تُصعّد معادن الحياة الراكدة في عمق البحر، كما نجد الإشارة إلى ذلك واردة في قوله تعالى في نفس الآية: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾(الرعد:١٧)؛ تلك الأرض التي إن خَمُلت فلأجل أن يمكُث فيها هذا الذي ينفع الناس، حتى إذا نبتت من معدنها تلك النبتة الصالحة، تبلورت ونمت فكان عطاؤها طيبًا. فإذا تحققَت هذه الرؤية وتمّت على أرض الواقع، فلا بد للبناء أن يقوم من تلقاء نفسه فتحًا من الله ونصرًا من عنده. وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الصف:١٣). ■

(*) كلية العلوم، جامعة ابن طفيل / المغرب.

الهوامش

(١) مرج المياه بين الكشف العلمي والوصف القرآني، د. عبد الإله بن مصباح (٢٠٠٦)، مجلة الفرقان، الأردن، العدد:٥٥، ص:١٢-١٥.

(٢) Benmesbah A., Barattolo F., Mancinelli A., Romano R., Vecchio E., & Mehdi M. (2003) - A Propos des Formations Subrécifales Jurassiques des Rides Sud-Rifaines (Maroc). Workshop on the Late Triasic-Early Jurassic Events in the Framework of the Pangea Preak-Up. Capri 30 Septembre -1 Octobre 2003, p: 17.

(٣) إيعاد الغمم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٦٦هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٩، ص:٧٧.

hiragate.com

أ.د. ناصر أحمد سنه*

وهل يصوم الحيوان؟

في أوائل فصل الربيع يفقس بيض ديدان الحرير (القز) عن يرقات صغيرة نهمة. فتقوم بالتهام أوراق التوت لخمسة أيام حتى يمتلئ جسمها، ثم تمسك عن الطعام ليوم أو يومين ريثما تتهيأ لتغيير إهابها. وتتكرر العملية خلال هذا الطور اليرقي خمس مرات في نحو ثلاثين يومًا. وفي النهاية تبلغ تمام نموها، فتدخل في صيام آخر لنحو ستة أيام. ثم تُعِدّ خِدْرًا (الشرنقة) تأوي إليه؛ حيث تنسجه بخيط حريري وحيد يصل طوله من ٤٠٠ إلى ١٢٠٠ مترًا. ثم تدخل طور العذراء في سكون تام. وفي نهايته تتحول إلى مارد عملاق، إذ تفرز سائلاً يذيب جزءًا من الشرنقة، ويُزاح الستار عن فراشة ديدان القز التي تضع بيضها، ثم تقضي بقية عمرها (نحو خمسة أيام) صائمة. لتودع الدنيا، ويبقي بيضها المُخصَّب حتى الربيع ليعاود الكَرَّة من جديد.

وعادة ما تصوم العناكب أثناء فترة وضع البيض وحضانته. كما أن هناك أنواعًا تصنع لنفسها خيمة من الخيوط الحريرية، وتبقى فيها صائمة قائمة لا تغادرها حتى يفقس بيضها. ثم تجهز السوائل اللازمة لتغذية صغارها. لكن بعض أنواع الخنافس تميل إلى قضاء وقت الشتاء على قمم الجبال الثلجية. فهي -بما لديها من مخزون- تستطيع الاعتماد عليها خلال فترة إمساك تستغرق مدّة الشتاء، لكن اللافت للنظر، احتواء جسمها على "ماء مرتبط"؛ تذوب فيه بعض المكونات الغذائية، فيكسب الحشرات القدرةَ على تحمّل درجات حرارة التجمد. لكن عند انخفاضها إلى نحو ٣٠ درجة تحت الصفر المئوية؛ تُحرر الطاقة "الكامنة" في الماء، فترتفع درجة حرارة أجسامها إلى الصفر المئوية. وتتكرر العملية مرة واحدة، فتكفي لإتمام صومها في منتجعاتها الشتوية.

ويعتبر القراد واحدًا من طفيليات الماشية -كالإبل والغنم والبقر والجاموس- تتغذى على دمائها، وتنقل لها بعض الأمراض. يفقس بيض القراد عن يرقات تتعلق بعائلها المفضل، فتغرس خرطومها في جلده لتسحب وجبة دم شهية. فتنسلخ إلى "الحوريات" التي تظفر أيضًا، بوجبة شهية ليكتمل نموها للطور اليافع. وعندما تعبُّ الأنثى من دم عائلها، تتركه إلى حين لتنزل إلى التربة مُمسكة عن الغذاء فتضع بيضها. وقد تطول فترة صيامها حتى قدوم عائل جديد، فإذا ما أقبلت العوائل تنهي أمساكها، وتعيد تناول وجباتها الساخنة من دمائها.

في أنهار ومستنقعات وسط أفريقيا، وفي منطقة نهر الأمازون الجنوبية، تعيش بعض أنواع "الأسماك الرئوية". وعند حلول موسم الحرارة والجفاف، تلجأ لصنع كهوف أو ملاجئ في وحْل القاع، وتظل صائمة خلال الموسم مُخفضة عملياتها الأيضية لأدنى مستوياتها. وفي مراحل صباها الباكرة، تعيش أسماك "السالمون الأحمر" في مياه الأنهار العذبة، لكنها في موسم معيّن تهجر الأنهارَ إلى مياه البحار والمحيطات. وفي عرض البحار تقضي جزءًا من حياتها (نحو ٤-٧ سنوات). وعند النضج الجنسي والتكاثر؛ تتجمع في شمال الأطلسي بعد سباحة شاقة، تقطع خلالها ٤-٥ آلاف كيلو متر، لتكمل رحلتها -عدة أشهر- إلى مصبات الأنهار، فيتجه كل نوع إلى موطنه الأصلي. وتبدأ هذه الأسماك صيامها الوحيد بمجرد ترك المياه المالحة. وفي أمكنة مناسبة في النهر تحفر لتضع بيضها، ثم يتم إخصابه خارجيًّا، فتطمره الإناث من طين القاع. وتظل قابعة إلى جواره حتى يفقس. ثم تلقي الأمهات والآباء نظرات الوداع على صغارها، وتودِّع الدنيا صائمة.

أما السلاحف، فتمارس -على اختلاف أنواعها- نمطًا من الصيام تمتنع فيه عن الغذاء لأشهرٍ كلَّ عام؛ حيث تسكن في أماكن مناسبة، وتعلن بدء الصوم و"موسم البيات". لأنها مُزودة بخزانات مائية تعتمد عليها في سباتها الطويل.

ومتنوعة هي طيور البطريق، حيث تختلف في سلوك وضع البيض وتفريخه؛ فبطاريق أديلي -مثلاً- تقضي فصل الشتاء في المنطقة الجنوبية، ومع حلول الربيع تعود قافلة إلى وطنها في الشمال، حتى تصل إلى منطقة التكاثر، وتخرج إلى اليابسة لتبني أعشاشها من الحجارة. وبعد نحو ثلاثة أسابيع تكون قد أتمت التكاثر، فتضع الأنثى بيضتين يتولى الذكر حضانتهما صائمًا لأسبوعين. وعند فقس البيض وخروج الأفراخ، ينطلق إلى البحر ليفض صومه، في حين ترجع الأنثى فتغذِّي صغارها. أما بطاريق "الإمبراطور" (Aplenodytes Forsteri)، فتقضي فترة الشتاء في المناطق المتجمدة الشمالية، وتضع الإناث بيضها، لا على الثلج ولكن على قدميها، لتعزلها وتدفئها بجسمها. وتستمر على هذا الوضع صائمة، حتى تتم الحضانة بصورة كافية ويذوب

hiragate.com

الجليد. وعند نمو الصغار، فإنها تصوم أيضًا عن الطعام حتى يسقط عنها الزغب ويكتسي جسمها بالريش؛ وبعد ذلك تنزل الماء وتعلن نهاية صومها. أما الطيور الكبيرة فتصوم مرة ثانية عند استبدال ريشها القديم بآخر جديد؛ فتعود إلى البحر بحلتها الجديدة.

وتقوم طيور "القطقاط الذهبي" بالهجرة من موطنها في كندا إلى أمريكا، في رحلة متصلة تبلغ نحو ثلاثة آلاف ميل فوق المحيط الهادي. ولمواصلة هذه الرحلة الشاقة، تدخل في "صيام إجباري" ليل نهار ولمدة تصل لثلاثة عشر يومًا. وما إن تصل لبغيتها حتى تستريح بعض الوقت وتستعيد أنفاسها، ثم تتناول طعامها بشهية زائدة، وتدّخر القوة لرحلة العودة من جديد.

ويصوم البط البري وهو مهاجر نحو الجنوب إلى حيث الدفء والغذاء. لكن بعض الطيور -وبخاصة طيور الكروان، والهدهد، والبلبل- تمتنع عن الطعام والشراب، عندما تُحبَس في أقفاص فاقدة حريتها. ونجد طيورًا أخرى، عندما تُنقَل من قفص لآخر، تبدأ مباشرة بالإمساك عن الطعام والشراب، وذلك لحزنها على قفصها وموئلها القديم، ومع الوقت يبدأ الطير بالتغريد ويوقف الصيام.

وحينما ينضب معين الغذاء لكثرة الأعداد، أو عند الارتحال، يصوم "قنفذ النمل الشوكي" صومًا إجباريًّا؛ حيث يلجأ لجحره ويتكور لأسابيع عدة.. فيتخلص مما لديه من مخزون ويستعيد رشاقته وحيويته. وتمتاز السناجب الأرضية بنهمها الزائد خلال الخريف، فتسمن بصورة ملحوظة، وعندما يحلّ فصل الشتاء تدخل في صيام؛ فتتخذ مخابئ داخل الكهوف أو الأشجار المجوفة وتتكور على نفسها لتنام نومًا عميقًا. وفي "بياتها الشتوي" هذا، تضعف عملياتها الحيوية، فتتنفس ببطء وترتاح عضلاتها، وتستريح معدتها وأمعاؤها وتغمض أعينها، وتستهلك مخزونها الدهني.. حتى إذا ما ولّى الشتاء، تبدأ الحرارة تدب في الأجسام، تستيقظ من رقادها نحيلة رشيقة، فتتحرك هنا وهناك سعيًا وراء الغذاء من جديد وكأنها في يوم عيد. إن أول موجات البرد تتسبب في شلّ حركة الضب، فيبقى في مكانه

-تحت حجر أو في كوة جدار- عدة أشهر لا يتغذى على شيء، ولا ينبض قلبه إلا بنبضات قليلة ضعيفة غير محسوسة. ثم يستفيق مع قدوم الربيع وسريان الدفء في جسمه، لكنه يجد بطنه خاوية، فيسارع إلى سدّ جوعه.

أما "اللمنج" فهو حيوان ثديي في حجم الفأر، يكسو جسمه فراء بُنّي ضارب إلى الصُّفْرة، وله أرجل قصيرة بالنسبة إلى حجمه، وله أذنان رفيعتان تختفيان خلال فرائه السميك. يكثر في بلاد النرويج، ويتكاثر بدرجة فائقة؛ فالإناث تلد من ثلاث إلى أربع مرات سنويًّا (تلد نحو ٢٧ فرخًا سنويًّا). وعندما تتزايد الأعداد فإنها تغادر المنطقة في رحلة شاقة متجهة إلى الجنوب، مخترقة الغابات والحقول.. زحف رهيب بالملايين، على شكل أسراب يصل عرض السرب حوالي ثلاثة أميال أو يزيد. ولا شك أن هذه الرحلة، تؤدي إلى الضعف والوهن جراء فترة صيام طويل يصل لنحو عامين متواصلين. وأخيرًا تصل هذه الحيوانات الصائمة إلى شاطئ البحر، فتنتهي حياتها بشكل مأساوي؛ حيث تلقي بنفسها في لجة الماء، لتودع الحياة على هذا النحو الغريب، وليسدل الشتاء على نوع من التوازن البيولوجي الاختياري. فلو استمرت في هذا التكاثر المتواصل لأمكن أن تملأ وجه الأرض؛ فتهدِّد المحاصيل وغيرها.

أما الجرذان النوامة فثدييات قارضة. وعندما تنخفض درجة الحرارة بداية الشتاء، تدخل في بيات شتوي وتصوم. ويتم استهلاك الدهن المخزون في أجسامها خلال فترة الصيام، وبحلول الدفء تستيقظ من سباتها، ثم تتحرك بحذر، مُنهية صيامها بتناول ما

hiragate.com

ديدان الحرير (القز)

يصادفها من طعام.

ويصوم الدب القطبي، والأرنب البري عندما يكسو الجليد الأرض ولا يجد شيئًا يأكله، فيدخل في صيام أو بيات شتوي حتى يذوب الجليد، فعندها يخرج من صومه. لكن مع نهاية شهر أغسطس سنويًّا، تعسكر الفقمة عدة أشهر على الشاطئ. وتقوم الذكور باختيار عدد كبير من الإناث. عندها تُمسك عن الطعام لأسابيع، ساهرة على حراسة إناثها الشابة، أما الإناث المسنة فتضع صغارها في غضون أيام. وعلى صغار الحيوانات، استبدال فرائها بسترة تناسب حياة الماء، فتنفصل عن أمهاتها، وتمتنع عن الطعام والشراب مُستلقية على الشاطئ.. وتستمر فترة صيامها نحو ستة أسابيع تنتهي بحلول يناير، ويحين موعد فطرها فتنزل إلى لجة الماء وتقبل على الطعام بنهم، فلا تلبث أجسامها أن تكتنز بالدهن، وتقضي الشتاء كله على هذا المنوال، حتى إذا ولّى الشتاء، ودّعت حياة البحر لتتمدّد تحت الشمس على الشاطئ وقد بلغت حد النضج الجنسي، فتتزاوج وتتكاثر، ثم تصوم وتفطر من جديد.

أما "الأسد" ملك الغابة، وهو من اللواحم، لديه وفرة من حامض "اليوريك" (Uric Acid) وهو أحد نواتج هضم واستقلاب البروتين، وعند عدم قدرة الكلي على التخلص منه، ترتفع نسبته في الدم، وترسب أملاح ذلك الحمض في المفاصل، مما يؤدي ذلك إلى صيام الأسد يومًا في الأسبوع (٤٨ يومًا في العام).

وقد تصوم بعض الحيوانات تعبيرًا عن الشعور بالحزن والألم، كما عند الكلاب عندما تفقد صاحبها وفاء له، أو عندما تتألم بسبب كسر أو جرح ما. ويصبر الجمل على الجوع والعطش ويصوم أيامًا عديدة، وهو يعتاش عند شُحّ الغذاء والماء على حرق الشحوم المخزنة في

الخنفساء

سنامه (يختزن حوالي ١٢٠ كلغ). وقد يذوى هذا السنام حتى يميل على جنبه، وقد يمسي كيسًا خاويًا، لكنه يحتفظ بسيولة جيدة في دمه، وموزعًا للحرارة ومبددًا لها من سطح جسمه. ويسير قويًّا متماسكًا إلى أن يجد الماء العذب أو المالح فيعبّ منه عبًّا ويستعيد في دقائق معدودات ما فقد من وزنه في أيام الظمأ. ولديه استعداد خاص لإخراج تلك الأملاح في بول شديد التركيز بعد أن يستعيد معظم ما فيه من ماء ليرده على الدم.

وعلى جانب آخر، يتحمل نبات الصبار العطش ويعيش بدون ماء فترات طويلة، كشأن حيوانات المناطق الصحروية، كفأر الكنفر الأمريكي الشمالي؛ حيث يستطيع هذا الحيوان القارض العيش دون ماء، معتمدًا على ماء الدهون التي يحويها طعامه.

هذا وقد تصوم بعض الأشجار والنباتات وترتاح في الشتاء، خاصة النباتات المعمرة متساقطة الأوراق. فمن الخريف إلى الربيع تتباطأ وظائف أجزائها المختلفة، وتمسي في حالة سكون وصوم، فتقل عملية البناء الضوئي، وربما تتوقف تمامًا مع عملية النتح. كما يقل عمل الجذور في امتصاص الغذاء والأملاح، وتتساقط أوراق شجرتي التوت والمشمش فلا يحدث تمثيل غذائي طيلة الشتاء. حتى إذا أتي فصل الربيع، ظهرت الأوراق من جديد، ولبست الأشجار حلتها الخضراء.

صفوة القول: "أمم ومخلوقات صائمة".. عالم لا تنقضي غرائبه ولا تنتهي عجائبه. وينبغي ألا تمر هذه الغرائب وتلك العجائب على العاقل مرور الكرام، بل عليه أن يأخذ منها -وغيرها كثير- مِرْقَاةً للوصول، ومدعاة للقبول. ■

(*) كاتب وأكاديمي مصري.

hiragate.com

د. العطري بن عزوز*

إخلاصك لصديقك يُقاس بمشاركتك أفراحه وأتراحه.. فإذا لم تبك لبكائه ولم تضحك لضحكه فكيف تكون صديقًا مخلصًا وفيًّا؟!

الموازين

العقيدة عطاء
من الركود إلى الفاعلية

من معاني وأهداف التجديد في الفكر الإسلامي، الرجوع بالدين الإسلامي إلى سابق عهده نصًّا وفهمًا والتزامًا وتبليغًا، من أجل تحقيق مراد الله تعالى ورسوله، وفق نموذج تطبيقي عرفته الأمة الإسلامية، وهو أنموذج الرعيل الأول من الصحابة بشهادة الرسول ﷺ نفسه في قوله: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (رواه أبو داود).

الحاجة إلى التجديد

فالأمة الإسلامية دائمًا في أمس الحاجة إلى مجددين ومصلحين في

خطاب الأستاذ كولن يحمل عدة خصائص؛ يتميز بالانفتاح والتجديد، ويجافي الجمود والانغلاق، ويحافظ على الهوية التي ينتمي إليها إضافة إلى الانتماء إلى الأمة الإسلامية وما تمتاز به من خصائص تشترك فيها كل الأعراق والأجناس ما دام الإسلام يجمعها.

كل زمان ومكان، يجددون أمر الدين والعقيدة، تجديدًا يخص مواطن الانحراف والفساد والضلال، وإحياء منهج خاتم الأنبياء في الدعوة إلى الإيمان بالمفهوم القرآني، ووضع منهجية جديدة تساير العصر الحديث، دون المساس بالثوابت القطعية التي أقرها القرآن والسنة وإجماع الأمة.

ومما ثبت في الأثر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دِينها" (رواه أبو داود).

وما يقوم به المصلح والمجدد فتح الله كولن في هذه الأيام من عطاء متجدد، يدخل في معنى الحديث النبوي؛ حيث تتعرض الأمة الإسلامية لتحديات عويصة من الداخل والخارج. منهجية فتح الله كولن في العمل، هي التركيز على الأفكار الصحيحة والابتعاد عن المسائل الخلافية. وقد تميز خطابه بالبساطة والسهولة، ليكون أنفع وأسرع إلى الأذهان، وأبعد عن الملل والسآمة. ويتناول خطابه جوانب مختلفة، كالجانب الاعتقادي، والجانب الفكري، والجانب الاجتماعي، والجانب التعليمي.. مع شمولية في الخطاب لمختلف فئات المخاطبين رجالاً ونساءً، صغارًا وكبارًا. كما أن خطاب الأستاذ كولن خطاب عملي، فالأستاذ في الوقت الذي يكتب أفكاره، يدعو محبّيه إلى التطبيق الميداني. فقدوته في ذلك، النبي ﷺ الذي يقول: "إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسّرًا" (رواه مسلم).

فكان خطابه يحمل عدة خصائص في الوقت نفسه، حيث يتميز بالانفتاح والتجديد، ويجافي الجمود والانغلاق، ويحافظ على الهوية التي ينتمي إليها، إضافة إلى الانتماء إلى الأمة الإسلامية وما تمتاز به من خصائص تشترك فيها كل الأعراق والأجناس مهما كانت ما دام الإسلام يجمعها.

العقيدة الفاعلة

والخطاب العقدي عند الأستاذ فتح الله كولن، يستمد خصوصيته من الخطاب القرآني والنبوي؛ يخاطب الجماهير بما يفهمون، ويعجل بالتغيير والإصلاح كمن يعجل بالدواء للمريض؛ لإحياء القلوب اليائسة والحائرة، وبعث روح الإيمان الصحيح المولد للطاقة الفاعلة في المجتمع، وتطهير العقيدة مما علق بها من الشرك والأوهام والأباطيل التي شوهتها وجعلت الدين كما لو كان مضادًا للعقل.

فهو يدعو من خلال خطبه في المساجد والنوادي، ومقالاته التي ينشرها في الصحف والمجلات، إلى إصلاح العقائد الإسلامية، وشرح المصطلحات، وحل القضايا، على نمط القرآن والسنة بوضوح، وبمنهجية علمية بعيدة عن الآراء الفلسفية التي تَعب الأوائل في وضعها وأتعبوا الناس في فهمها.

فالمصلح فتح الله كولن، يعتبر أن إصلاح فهم العقيدة هو جوهر كل أنواع الإصلاح. إنه إصلاح فهم المسلمين لعقيدتهم، وربط هذا الفهم بالواقع. وأكثر من ذلك، فهو لا يريد تعريف المسلمين بعقيدتهم فحسب، وإنما يريد أن يسترجع فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي. فهو يرسخ العقيدة الإسلامية في النفوس، باعتبار أن الإيمان هو المحرك الفاعل في تكوين الذات وبلورة الشخصية التي تنطلق لتحقيق أهداف العملية التربوية والتعلمية برمتها، ويتحول المسلم إلى عنصر إيجابي في مجتمعه، ينهض في بناء حضارة أمته.

وما يميز الخطابَ العقدي عن غيره، كونه خطابًا يعتمد على الحجة والبرهان والأدلة النقلية والعقلية، فهو يجمع بين المعرفة العقلية والمعرفة الوجدانية، كما أنه يزيل التعارض بين الوحي والعقل.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن هاجس فتح الله كولن في دراسته قضايا ومسائل العقيدة والتوحيد، كان هاجسًا إصلاحيًّا تغييريًّا عمليًّا، ولم يكن هاجسًا

hiragate.com

معرفيًا محضًا مثل معظم الدعاة والمصلحين. وأهم ما تميز به في إصلاحه العقدي، استفتاح خطاباته بالحمد والشكر لله تعالى على نعمة العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم، والصلاة والسلام على النبي صاحب الرسالة وأكرم الرسل. وفي معرض حديثه لا يلجأ إلى حشد المصطلحات الكلامية أو الفلسفية التي لا يفهمها الناس، وهذا ما جعل الناس يلتفون من حوله، ويقرؤون مقالاته وكتاباته لما لها من فائدة عامة. ونلاحظ في أسلوبه الاهتمام -بالدرجة الأولى- بإصلاح فهم المسلمين لعقيدتهم، وتنبيه الناس إلى فاعليتها ودورها الفعال في تغيير الإنسان، بأسلوب علمي عملي عميق.

مفتاح القلوب

فالإيمان عنده يتعلق بالكلمة المفتاحية لفتح القلوب فيقول: "إن الكلمة المفتاحية لفتح القلوب هي "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، فكل الخصائص الإيمانية -حسب الإسلام- تتأسس على هاتين الجملتين الوجيزتين اللتين هما تعبير عن حقيقة لها وجهان؛ أحدهما: غاية، والآخر: وسيلة. فالإيمان الذي هو كـ"شجرة طوبى" تنشأ من هذه البذرة، فتغطي -بما تؤتيه من ثمار المعرفة- سماءَ أحاسيسِ الإنسان وشعوره وإدراكه، ثم تتحول العلوم والمعارف كلها عشقًا واشتياقًا وحرصًا بدفق وهمّة باطنيتين وشعورٍ وحسٍ داخليين، ليلف كل ذلك الإنسانَ من كل جهة، فيحوّله إلى إنسان جديد مرتكز على محور الوجدان.. فتنعكس هذه الحالُ على كل سلوكيات هذا الإنسان العاشق المشتاق. وتَحمل عبادتُه وطاعتُه سماتٍ ترتسم بخطوط هذه العلاقة والرابطة وذلك العشقِ والاشتياق، وتصير مناسباتُه البشرية انعكاساتٍ لهذه اللدنية".. وهكذا يواصل كلامه بأسلوب يمزج فيه حقيقة الإيمان بوجدان الإنسان لإزالة التلبد الذي يغشى الفطرة السليمة".

تلك هي خطة ومنهجية فتح الله كولن في الإصلاح والتغيير، وذلك هو خطابه العقدي المستمد من القرآن والسنة. وكان له صدى في أوساط المجتمع التركي، وساهم مساهمة فعالة في تنويره وإخراجه من أزمته التربوية والفكرية، وما زال صداه يتردد خارج تركيا إلى الآن.

مقررات مادة العقيدة

والسؤال الذي يطرح نفسه على المجتمعات العربية على الخصوص؛ متى ننظر من حولنا نظرة استقرائية فاحصة، ونستفيد من هذه التجارب الناجحة لننتقل من التخلف والحرمان، إلى المجد والحضارة والتقدم؟ ذلك لأن الواقع يشير إلى أن تحصيل علم العقيدة في جامعاتنا، أمسى مطلوبًا للوظيفة لا للعلم. ولو اطلعنا على المقررات الدراسية -وخاصة مقررات العقيدة- نجد أنها أكثر صعوبة من مقررات الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء.. وأمست العقيدة في حس الكثيرين تعني التعقيد بسبب مصطلحاتها الفلسفية، ولم تعد العقيدة تبعث في كثير من الأحيان على الاطمئنان القلبي والاستقرار الفكري والتفاعُل السُّلوكي، بل على الشك والتردُّد الذي عاناه كثير من الفلاسفة والمتكلِّمين قديمًا، وسجلوا اعترافاتهم بذلك. فمادة العقيدة عبارة عن جدل ونقاش لا يكاد ينتهي، وافتراضات لا يكاد يتصوَّرها عقل، ثم أجوبة واعتراضات، وأجوبة تلك الاعتراضات، واعتراضات تلك الأجوبة وأجوبتها.. وهكذا إلى ما لا نهاية. فإغفال جانب التأسيس العقدي لكثير من الأمور العملية السلوكية، كان سببًا في هذا الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون، المتمثل في إقصاء العقيدة الصحيحة عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، حتى صار لديهم استعداد نفسي لتقبل الفلسفة العلمانية.

وهذا الأمر ينذر بانهيار المجتمع والتخلف الحضاري. فما أحوجنا إلى الاقتداء بمنهج فتح الله كولن في الإصلاح التربوي والتعليمي في مدارسنا ومعاهدنا، خصوصًا وقد أثبت نجاحه في واقع الناس، واستطاع أن يؤثر في الفرد والمجتمع، وأن يخرج على يديه نخبة من مجتمع الخدمة، الذين ساهموا في نشر العقيدة الإسلامية تأثيرًا وجدانيًا وسلوكًا عمليًا، بالإضافة إلى نشر العلم والمعرفة في أرجاء العالم. ■

(*) باحث في الدراسات الإسلامية والإعجاز / الجزائر.

hiragate.com

أ. د. أحمد عبادي*

علومنا الإسلامية
والسياق الكوني المعاصر (٢)

٣- العلوم الإسلامية: قراءة في العوائق المعرفية

إن العلوم الإسلامية اليوم، على الفضل والخير الكبيرين اللذين فيها، أضحت تُكِنُّ مجموعة من العوائق الذاتية تحول دون استئناف العمل البنائي والتجديدي فيها، ويمكن ترتيبها كما يلي:

أول هذه العوائق؛ أن علومنا الإسلامية دلفت نحو قُطب التقليد، فحينَ مُورست على الإنسان المسلم مجموعة من الضغوط والتقليصات -سواء معنوية أو مادية- وحين استُبدل واقع "قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك" -الذي كان يُمارس في الصدر الأول حين قال عمر بن الخطاب ﷺ هذه الجملة الرائعة لعبد الله بن عباس وكان فتى ساعتئذ- بواقع صه! بدأنا نرى أن بعض العلماء، شرعوا في تبوّء مقامات فيها الإطلاق والكليانية ودعوى امتلاك الحقائق، مما قلص الهوامش النقدية، وضيّق مجالات الاجتهاد، وأدى إلى ظهور عبارات من مثل قولهم: "ليس في الإمكان أبدع ممّا كان"، وظهور أنماطٍ من التبعية تحت دعوى القداسة في بعض الأحيان.. إلى غير ذلك من الفهوم التي حين توضع في غير موضعها، وتورد في غير موردها، تجعل الإنسان المسلم ينسحب من ساحات الإبداع المباركة نحو ساحات التقليد والانكماش الاستهلاكي لما يُعْرَض. فالإبداع وحرية الفكر صنوان، والإبداع والكرامة صنوان.

في الصدر الأول كنا نجد سلوك الإمام المعلم مع تلامذته؛ فيه التشجيع على القول وقد تقدم مثال

عمر بن الخطاب ﷺ. لكن التاريخ ينقل لنا كذلك، أن أبا حنيفة كان يُعجبه حين تتعالى أصوات تلامذته محمد بن الحسن الشيباني، وأبي يوسف وزفر، كما كان ذلك يعجب الإمام مالك، والإمام الشافعي مع أصحابهما، لما كان ينتجه هذا التعاطي من مداولات وسؤالات وأخذ ورد وثمار. حين استُبدل بهذا الواقع واقع آخر فيه الكلياتية والإطلاقية، وعدم المشاركة مع الأستاذ في البحث، عن المعلومة وصوغها بدل الاقتصار على التلقي غير التفاعلي، بدأت علومنا تدلف نحو التقليد والترداد.

وثاني هذه العوائق؛ أن هذه العلوم قد انفكت من النص المؤسِّس؛ الوحي ومعطياته. فالعلوم في فترة تأسيسها، كانت عبارة عن حوار مع الكتاب والسنة للاتصال الوثيق والمبدئي معهما، وهذا الحوار كان يُعطي بالفعل القابلية لاكتشاف مجموعة من الآفاق، استنادًا إلى استثمار المعطيات الموجودة فيهما، واستنادًا إلى المقاربة الآياتية للوحي وللكون، مما جعل هذا الحوار في الفترة الأولى، يُولِّد مجموعة من المعارف المتعلقة بالإنسان والعمران والطبيعة والكون المحيط. ولكن حين كَفَّ هذا الحوار، بقيت العلوم الإسلامية منحسرة فيما أنجز خلال تلك الفترات الوضيئة الأولى، دون البناء على مكتسباتها، وقيام اللاحقين بما عليهم هم أيضًا من الواجب إزاء هذا الوحي المبارك، وإزاء متطلبات الواقع. وإنه ليتعيّن على المسلمين اليوم استئناف هذا الحوار لسد الثغرات المترتبة عن هذا العطل المنهجي العميق.

وثالث هذه العوائق؛ أن هذه العلوم قد توزعتها نزاعاتٌ مذهبية خلال بعض الفترات، نزاعات قد أدت إلى سجالات لم تكن دائمًا إيجابية، حيث تحول النص المؤسس إلى حلبة لاقتناص الشواهد والمبررات السجالية والحجاجية التي يستقوي بها طرف على آخر، أو تعزز بها أطروحة على أخرى ولو على حساب وحدة النص البنائية والسياقية، أو على حساب وظيفة العلم البيانية. الأمر الذي كان له أبلغ الأثر في توجيه حركة تدوين العلوم والتأريخ لها من جهة، وعلى مناهج ومقررات التربية والتكوين التي تلقتها أجيال متتالية في

إن تاريخنا متصل من حيث انطلاق الدورة الحضارية الإسلامية بالرسول الأكرم ﷺ وبصحبه المنتجبين الذين أسسوا الأنموذج المشكّل للوحدة القياسية؛ أي المعيار وحالة السواء التي وجب ردّ الأمور إليها في المجالات المعرفية والحياتية.

الأمة، مما أضعف فكر الوحدة والتكامل على مستوى بنيات العلوم، وعلى مستوى قضايا الأمة الاجتماعية والسياسية والثقافية.

ورابع هذه العوائق؛ أن هذه العلوم، قد تسربت إليها خلال تاريخنا، مناهج دخيلة كالمنطق الصوري الأرسطي -مثلاً- مما أدخل عليها إفسادًا جوهريًّا من الجانب المعرفي؛ لأن المقاربة الأرسطية تعتبر أن العقل هو المولِّد للمعرفة، في حين أن العلوم الإسلامية تأسّست انطلاقًا من النقلة الكبيرة التي في الوحي، والتي تَعرض العقل باعتباره مكتشِفًا لهذه المعرفة ومستنبطًا لها، وشتان بين المقاربتين: مقاربة التوليد ومقاربة الاكتشاف والاستنباط.

وخامس هذه العوائق؛ أن هذه العلوم غدت في بعض مراحل تاريخها، علومًا يغلب عليها التجريد والصورية، مما جعلها تنأى كليًّا أو جزئيًّا عن هموم ومشكلات الواقع والإنسان، وهي ما جعلت إلا لتيسير حياته وإسعاده في معاشه ومعاده. فتاريخنا متصل من حيث انطلاق هذه الدورة الحضارية الإسلامية بالرسول الأكرم ﷺ وبصحبه المنتجبين الذين أسسوا الأنموذج المشكّل للوحدة القياسية؛ أي المعيار وحالة السواء التي وجب ردُّ الأمور إليها في المجالات المعرفية والحياتية. ولا شك أن هذا، كان وراء كثير من الاختلال في جانب ارتباط العلوم الإسلامية ارتباطًا وظيفيًّا بواقع الإنسان فردًا واجتماعًا، وهو ارتباط يصعب تصوره إذا لم يتم تجريدُ حالة السواء هذه وتجلية معالم الوحدة القياسية التي تحدثنا عنها، ولم تتم "مَنهَجَة" كيفية التعاطي معهما والاستمداد منهما، بكل الواقعية وكل المرونة

hiragate.com

الحوار مع الكتاب والسنة، كان يُعطي القابلية لاكتشاف مجموعة من الآفاق، استنادًا إلى استثمار المعطيات الموجودة فيهما، واستنادًا إلى المقاربة الآياتية للوحي وللكون، مما جعله يُولِّد مجموعة من المعارف المتعلقة بالإنسان والعمران والطبيعة والكون المحيط.

اللتين تجعلان هذا الارتباط يجري في إطار منهج قائم على خطوات ثلاث: الخطوة الأولى هي تَمثُّل الوحدة القياسية وحالة السواء بطريقة علمية، بحيث تكون مبوّبة ومفصلة وممنهجة. والخطوة الثانية هي النظر إلى الواقع وتحليله، والوقوف على مقوماته ومكوناته وأدواره وسُلطه ومراكزه. وحين يعي الإنسان واقعه في استحضارٍ للوحدة القياسية ولحالة السواء، تكون الخطوة الثالثة خطوة تلقائية وهي تجاوز الواقع في استلهام لحالة السواء، مع استدامة الوعي بأن هذه الحالة أيضًا كانت محكومة بواقعها وبأسيقتها فيما عدا الثوابت.

فإذا لم تُلحظ الفوارق وأريدَ استعمال القياس بشكل آلي، فإن ذلك سوف يؤدي إلى الخطأ في التقدير. و"مفهوم الأسوة" قائم أساسًا على هذا الوعي، ولذلك فثمة فرق بين التأسّي والاقتداء. فالقدوة في القرآن المجيد مرتبطة بالهدى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنعام:٩٠). أمّا بالنسبة للرسول الأكرم ﷺ فهو أُسوة؛ أي أنك تعي واقعك وتتمثّل نموذجية المتأسَّى به في وعي بالفوارق، وهذا أمر محوري في هذا الباب.

فحين ذهلنا عن هذه المنهجية في التعاطي مع تاريخنا، أصبحنا نجعل كل فترات هذا التاريخ نموذجية تتركب بعضها على بعض.. وحين لم نُحكم الفصلَ بين الوحدة القياسية (حالة السواء) وبين سائر المراحل، ولم نجعل كل المراحل الأخرى خاضعة لهذه الخطوات الثلاث التي أشرنا إليها، حدثت أزمة.

وحين اعتقدنا لفترة أن المراد هو الاقتداء وليس هو التأسي، حدثت أيضًا أزمة؛ لأننا أردنا -في فترات معينة- إعادة إنتاج هذا الواقع بكل حيثياته. في حين أن هذا منالٌ يستحيل؛ لأن الأسيقة الكونية والمحلية والنفسية والفكرية، والأفق المعرفي، كل ذلكم يتغيّر. فلا يُمكن أبدًا أن إعادة إنتاج هذا الواقع بحذافيره، مما أدى ويؤدي لأضرب من الاختلال المضرة بالنص وبالواقع.

وبوعي ما سلف، يصبح لتاريخنا حضور استلهامي واعتباري هادٍ، بعيد كل البعد عن أي حضور تأزيمي.

وسادس هذه العوائق؛ أن هناك إشكالاً نجده منسابًا في كل فصول تاريخنا العلمي والمعرفي، يتعلق بقضية الثابت والمتحول، وما هي الطريقة والمنهجية التي بها نُمقدرُ (Le dosage) الثابت ونعرفه ونعرّف حدوده، حتى لا نصادمه ولا نتجاوزه. ثم نعرف ونُمقدرُ المتحوّل الذي سيكون موضوعًا للاجتهاد المستأنَف في كل عصر كما نصّ عليه العلماء. حين لم نستثمر الجهد المطلوب واللازم في هذه القضية، وتركناها منتشرة في كتب النابغين من علماء الأمة دون جمع، ولم تُتَلَقَّ الإشارات الكثيرة الموجودة في القرآن والسنة إلى هذه القضية فبقيت غير بينة المعالم، حصلت مشاكل كثيرة. وقد أورد ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "أعلام الموقعين" فصلاً سمّاه "في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد". فنحن الآن مطالبون مرة أخرى بفتح ملف الثابت والمتحول في مجال العلوم الإسلامية، بما يلزم من مقدرة (Dos-age) واتزان وتشرّع، حتى نستطيع تجاوز جانب من هذه الأزمات التي نعيشها اليوم.

وهنا وجب الانتباه إلى العائق السابع؛ والذي يفرض ذاته ويتمثل في قضية الباراديغمات، أي الأنساق والأطر المرجعية والمركبات المفاهيمية، التي تقود عمليتنا التفكيرية والتحليلية، وتؤطر أضرب النظر الذي نستعمله ونوظفه. هذه الباراديغمات أمرٌ لم يُعطَ حقه في أفق تحرير وتجريد الباراديغمات الكامنة -من جهة- وراء العلوم الإنسانية حتى نتعامل معها برشد وفاعلية واتزان، ونجرّد من جهة ثانية الباراديغمات الكامنة وراء علومنا ومعارفنا الإسلامية حتى نتأكد من قرآنيتها وسلامتها، حتى لا تبقى علومنا خاضعة لباراديغمات

hiragate.com

غير سليمة نُضفي عليها سربال القداسة، ويكون لها من التأثير السلبي علينا وعلى تاريخنا ما يكون. ومن ذلك إدراك النواظم المنهجية الكلية بين العلوم الإسلامية التي توحدها في أصل انبثاقها الأول، وتزيح عنها توهم الاكتمال والشرف والأفضلية والاستقرار، وتجسر علاقتها التكاملية مع دوائر العلوم الأخرى في ضوء مقاصد وفلسفات العلوم كما يقرها القرآن المجيد في أبعادها الإنسانية والكونية التواصلية والتعارفية من غير نزوع نحو هيمنة أو استبداد معين.

هذه العوائق حين استحكمت، صيرت هذه العلوم كما استقرت بعدُ، في كثير من مناحيها وأبوابها، تنسدّ مناهجها دون الاجتهاد والإبداع، مما يستدعي مراجعات في ضوء هذه العوائق بغرض تخليص علومنا من آثارها السلبية، وإزاحة الشوائب العالقة بها، وجعلها قادرة وحاضرة في موكب التدافع الكوني الراهن، تسهم فيه -ولو بمقدار- في ظل ظروف وتحولات قاهرة لا ترحم المتخلف عنها.

وهنا وجبت الإشارة إلى قضية الباراديغمات، أي الأنساق والأطر المرجعية والمركبات المفاهيمية التي تقود عمليتنا التفكيرية والتحليلية، وتؤطر أضرب النظر الذي نستعمله ونوظفه.

هذه الباراديغمات أمرٌ أيضًا لم يُعطَ حقه، ووجَبَ أن يُستثمر الجهد في هذا المجال، لكي نُحرِّر ونجرِّد الباراديغمات الكامنة من جهة وراء العلوم الإنسانية حتى نتعامل معها برشد وفاعلية واتزان، ونجرّد من جهة ثانية الباراديغمات الكامنة وراء علومنا ومعارفنا حتى نتأكد من قرآنيتها وسلامتها، واتصالها بالمعطيات التي في الكتاب المسطور، وفي الكتاب المنظور؛ حتى لا نبقى ضحية باراديغمات غير سليمة نُضفي عليها سربال القداسة، ويكون لها من التأثير السلبي علينا وعلى تاريخنا ما يكون، غير أننا نأبى إلا أن نختم هذا الحوار بالاستبشار بكل ما يُبذل -بحمد الله- من جهود طيبة في كل المجالات التي أتينا على ذكرها. ■

(*) الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء / المغرب.

النور والظَّلام

نورٌ لا يُصارع ظلامًا ولا يكافح ليلاً؛
نورٌ منكفئ عن واجبه..
هو دون امتداده الحقيقي، ورسالته الأبدية.
فإذا ما اشتدَّ الظلام واحلولك الليل،
فقدْ جاءت ساعة النور،
لينبثق فجرًا، ويطلع نهارًا وشمسًا.
ففي قلب الظلام يختبئ النور،
والنهار على جناح الليل يَقدُم..
وفي حضن الثلج والصقيع،
يضع الربيع بُصَيْلاتِ زهره ووردِه.

* * *

د. طه كوزي*

الهمُّ رحِمٌ بين أهله

إننا نجد أنفسنا بين الفينة والأخرى ضمن ملايين البشر، غرباء، وفي أوطاننا وبين أهلنا عابري سبيل.. فما بال طريقنا أضحت موحِشة! وما شأن سبيلنا غدت مُقفرة مُجذبة! أأخطأنا السبيل؟ أم تفرَّقت بنا السُبل؟ أنحن مُقْبلون أم مدْبِرون؟ وما بالنا أضعنا قواعد التخاطب فأعجم اللسان وغاض البيان.. مَن أنا؟ ومن نحن؟ ومن أنتم؟ وما الذي يجمع بيننا وبينكم؟ أهو النسب أم المعشر؟ أم القرية والقبيلة؟ أم هو القُطر والمَصر؟ أم هي الطائفة والمذهب؟ أم أنه لم يعُد بيننا جامع إلا شِراك الإنتاج والاستهلاك، وأوثان المنصب والانتخاب، وأوحال المنافع، وقمامات المصالح؟

لا ريب أن اجتماع بني البشر وميلاد تجمُّعات الإنسان ليس منوطًا بتكديس

أكوام جماجمَ وهياكل عظمية؛ إذ لا يهِلُّ مجتمع من رحم رُكام لحم وعظم، ولا تُكتب له الحياة بصَفّ أصنام بشرية باردة باهتة لا نفَس فيها ولا روح.. "فالمجتمع الأمة" خاضع لمعايير متجاوزة تحفظ للإنسان إنسانيته، وتمنعه من أن يسيخ في أوحال البهيمية والشيئية، وتحول دون اختزاله إلى "جهاز هضمي متحرك"، ومنظومة جنسية متبلِّدة الإحساس، وسلعة تباع هنا أو هناك في سوق نخاسة "الأفكار" و"الأشخاص" و"الأشياء".. فما السمة الفارقة إذن بين مجتمع الإنسان "المكرّم" الوارث للأرض، وتجمُّعات النمل والنحل وزُرافات الثيران؟

لا تُقاس الثروة في المجتمعات الإنسانية بما تملكه من غنى في "عالم الأشياء" من موارد وروافد، ولا تتزايل به عن عالم الحيوان، بل يُجَسّ نبض الحياة في المجتمع الإنساني بمدى فتل حبائل "العلاقات الاجتماعية"[1] بين أفراده وحجم اهترائها، ويُعد بذلك مجتمعًا إنسانيًّا حين يعلُو منسوب العلاقات الحية بين أفراده مقارنةً بكتلة علاقاته الميتة.. فكلما نُقِض غزل "العلاقات الاجتماعية الحية" في مجتمع بَني الإنسان ازداد قربًا إلى البهيمية، وكلما ازدادت حبائل علاقاته فتلاً ومتانة اعتلى عرش الإنسانية، وصار "قابلاً للرشد"، و"خلافة الله"، و"وراثة الأرض".

إنسان لم يكتمل

في حياة البرزخ هذه التي نحياها، برزخ الفكر الفعل، وحالِ غيبوبة العقل وتبلُّد القلب، أضحى "إنسان العصر" يترنح في أرجوحة التفاؤل في ما يستقبله حينًا، والتشاؤم لما يرى حوله أحيانًا. وتراه مترددًا بين "الرجاء الحذِر" و"الخوف المطلق"، فَعَسُر عليه "فقه المرحلة" التي يعيشها: أهي تندرج ضمن منحدرات "ما بعد الحضارة" وما يستحكم فيها من عاطفة سلبية، وعصبية وغريزة مدمّرة لعمران المعنى؟ أم هي تنضوي ضمن حالة "ما قبل الحضارة" التي يستعيد فيها الإنسان وعيَه بعد غفوته، وذاتية بعد استلابه؛ فيستحث الخُطى في إقامة سلطنة القلوب، وتشييد المعنى، رغم كل ما يحيط به من مهالك ومزالق؟

من مظاهر "تألّه الإنسان"، اختزاله عمر الحضارة الطويل النفَس في سنوات حياته القصيرة، فينصّب بذلك نفسه القاصرة "مركزًا للكون"، ويحاكم عمُر الحضارة إلى عمُره، فيستعجل قطف الثمار وحلول الربيع، وهذا ما جعل الكثير من محاولات الانبعاث تُوأد في مهدها.

إن الحالة الذهنية "لإنسان ما بعد الحضارة" تتسم في مظهرها بالمفارقة والتشابك، إلا أنها في جوهرها متماسكة متناسقة؛ وهي أحد صنفين:

إما حالٌ متعطلة متشنجة موغِلة في التشاؤم، تجد لنفسها ما تشحن به حالتها النفسية من مبررات، وتفاصيل مُقلقة، وأمارات مشؤومة هنا وهنالك؛ لتؤيد بذلك نزوعها نحو الاسترخاء والعُطل، لتزداد انسحاقًا في مهاوي "ما بعد الحضارة" كنجم متهاو في ثقب من الثقوب السوداء الحضارية، فيفقد الإنسان الثقة في إمكان الانبعاث بعد الممات، وفقه "الإمكان الحضاري" بعد السبات الطويل، فتُصَم الآذان عن بَحّة "يعقوب الحكيم" وهو يوقد جذوة "الفعل الحضاري" ببث التفاؤل في حُلكة "فقدان المعنى" القاتمة قائلاً: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(يوسف:٨٧).

وإما حالٌ ركبت أمواج التفاؤل المطلق، والثقة الساذجة المتجاوزة لأسباب الحضارة؛ فتجد صاحبها تغمره عاطفة جياشة وهو يستعرض "شريحة الزمن" التاريخية الماضية، ليُسَرّي بها عن نفسه وآلامه وأوجاع وطنه، وفجأة تثقفه هاربًا نحو المستقبل مستنفرًا كل قابلياته الذهنية لملاحقة الأماني ومسابقة سراب الأوهام، متخليًا بذلك عن أعباء الحاضر ومسؤولياته، مغفلاً بأن الأحلام التي لا تمتلك صفة "المعقولية"[2]، و"القابلية للتحقق"، و"التناغم مع المرحلة"، ستغدو -بعد أمَد- كابوسًا يؤرق صاحبه، ويزجُّ به في ركب المتشائمين المشدوهين: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ

hiragate.com

تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾(الإسراء:٣٧).

رجل ما قبل الحضارة

إنْ صدَق رجل "ما قبل الحضارة" نفسَه، وجدها معوزة لخصائص محورية عِدّة هي الزاد والعُدة في "البناء الحضاري" ووراثة الأرض. فحين ينظر إلى عوالمه الداخلية ورواسبها، يجد أن ألدّ أعدائه يكمن داخله، وأن القيمة المطلقة لطاقته الكامنة غير متناسبة ألبتة مع ما يستقبله من جهد البناء وجهاد الإعمار.. فحين يعرض نفسه على خصائص صحبة رسول الله ﷺ، ويزن نفسه بمعايير "ورثة الأرض"[٣] من "الإيمان الكامل"، و"العشق" و"الشوق"، و"الفكر الرياضي" و"الحس الفني المرهف"، فإنه يفقد الثقة في أن زاده يبلّغه المرام ويؤمّن له طريق بناء الحضارة، فتراوده الشكوك وتساوره الوساوس؛ لأنه يجد في نفسه وفي عالمه الداخلي، الرواسب النفسية والاجتماعية التي تؤجل "ميلاد الحضارة" وتؤخر انبلاج الفجر الصادق.

من "رجل القلة" إلى "ولي الحق اللدني"

يمثل "إنسان القلة"[٤] محطَّ تفكُّر وتأمُّل في "عالَم المسلمين" أوان الانحطاط؛ إذ يمثل "شريحة حضارية" لحال العجز والتخلُّف التي تسيخ فيه الأمة، ويعَدُّ "إنسان القلة" العيّنة التي نفخت فيها مدرسة عصر الانحطاط بمحاضنها، وزواياها، وشوارعها كلَّ سمومها الزُّعاف من "اللافعالية" إلى "الاسترخاء" و"فقدان الإحساس". هذا ما يجعل تحوُّل "رجل القلة" -بكل ضعفه وقصوره- إلى "وريث للأرض" و"خليفة لله"، أمرًا متعذرًا من الناحية الحضارية. فكيف يتحول -إذن- "إنسان القلة" إلى لبنة في البناء الحضاري، ومُمهِّدًا لميلاد "الإنسان الكامل" الذي يمتلك خصائص "الوريث الحقيقي للأرض"؟ وهل من سبيل إلى تأثيره في معادَلة الحضارة، ليغدوَ "نقطة انعطاف" من حال "ما بعد الحضارة" إلى "ما قبل الحضارة"؟

إذا نظرنا إلى حالنا، وجدنا أنفسنا فاقدين لمزايا وخصائص مرهفة تجعل منا ذاك "الرجل الكامل"، ونقف في أنفسنا على مكامن القصور وضيق النفَس مما يُسقط عنا صفة الأهلية لمهمة "الاستخلاف" ويزيد في زمن "السبات" و"البرزخ الحضاري" سنوات بلْه سِنونَ، إلا أننا في الوقت نفسه، ورغم قصورنا وفقرنا، نجد في قلوبنا جذوة همّ وأمل في أن يكون غدنا أفضل من يومنا، وشوقًا في أن نسهم في دفع عجلة الحضارة والعودة إلى مهمة الريادة.. ولعل الامتحان العسير الذي يواجه "جيلَنا جيلَ القلّة" هو أن يمتلك خصائص تجعل منه رحمًا طيبة لحضارة وليدة، وجيلاً وارثًا للأرض لم يولد بعدُ. وإن جيلنا إن امتلك تلك الخصائص صار فعليًا "ولي الحق اللدني"[٥].

"وليُّ الحقّ اللدني" هو ممّن لم تكتمل فيه الأهلية "لمهمة الاستخلاف"، ولم تسعفه خصائصه الذاتية في تحمُّل أعباء الانبعاث الحضاري من جهة؛ إذ لا تزال مواجهاته لمكامن الضعف داخله ضارية شرسة.. فهو يعتقد تمام الاعتقاد أن عدوه داخله متربِّع على عرشه، إلا أن هذا الإنسان -في الوقت ذاته- مصمم على أن يوقِف "النزيف الحضاري" عنده.. فهو يمثل "البذرة الصالحة" و"المشتلة الولود" التي ستنجب "صحابة المستقبل" القادرين على إيقاد "جذوة المعنى" في الأنفس والقلوب. ولعل قبَس "التحول الحضاري" يكمن في تمثُّل مواصفات مفصلية أولاها "الصدق"، وثانيها "الصبر"، وثالثها "الصمغ".

"الصدق" و"الصبر" و"الصمغ"

أن تصدُق نفسك وتذكّرها أن ما هي عليه من قصور وفقر وعجز، لا يبذر زرعًا ولا يروي ظمأً.. ولعل ما يقدح زناد "الحركية"، ويذكي جذوة "التوتر"، ويطلق سلسلة "الفعل الحضاري" هي أن تصدق مع الخلْق وأمام الخالق، وأن ينضبط سلوكك، وقولك، وفعلك ويصطبغ بصبغة "الصدق"؛ لأن الكذب لا ينصرف إلى تلفُّظك قولاً يخالف واقع الأمر وحقيقته، بل تصدر ريح الكذب النتنة من كل ادعاء لا يتناغم مع مقتضيات المرحلة الحضارية، وتجثم روحه الكريهة وراء كل قول لا يتناسب مع حجم الجهد و"الاحتراق"، فيضيع "الصدق" في سوق عملات الاستعجال، وشعارات

hiragate.com

الاستعلاء، وأوراق الانتخابات. فالصدق معيار حكَم يجعل "وليَّ الحق اللدني" يشتغل بدايةً بأسباب العمران، ولا ينصرف إلى نتائجه وإضفاء المساحيق على أوجه متعفنة وأقنعة صناعية لا نفَس فيها ولا روح؛ بهذا المعنى تشد على أيدينا "الحكمة الربانية" و"الآية القرآنية" قائلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة:١١٩).

من مظاهر "تألّه الإنسان"، اختزاله عمر الحضارة الطويل النفَس في سنوات حياته القصيرة، فينصّب بذلك نفْسه القاصرة "مركزًا للكون"، ويحاكم عمُر الحضارة إلى عمُره، فيستعجل قطف الثمار وحلول الربيع.. وهذا ما جعل الكثير من محاولات الانبعاث تُوأد في مهدها؛ لأنها وضعت عمر الفرد معيارًا على الحضارة، ورفضت أن تضمُر بذرةً في رحِم البسيطة، فجوزِيَت بتهاوي بنيانها كلمح بالبصر، ودفعت فاتورة باهظة جزاء "تجنين الزمن" لها، لأن أهم قيمة معرفية لخلق "الصبر" هي "التبصر بسنن الكون" وأسباب "البناء الحضاري".. فإنه ما لم يحوّل "جيل القلة" مساكنه إلى محاضن تربية ودورًا "للأرقم بن الأرقم"، وما لم تستحِلْ مصانعه ومتاجره وشوارعه إلى "أعماق مرجانية للانتظار الحي" بالتعلُّم، والتحلُّم، والحفر المعرفي، والاستثمار في الإنسان، فإنه بنفاد صبره، وفتور صدْقه يمدُّ في حياة البرزخ التي نحياها قرونًا.

إن المعركة الثالثة في الطريق هي أن يحترق الواحد منا ليستحيل "صمْغًا" و"لِحامة" بين "أصحاب الهم الواحد"، وصِلَة خير بين جموع الصادقين الصابرين هنا وهنالك، ليخفّف عنهم غربتهم، وينسج حبائل "شبكة علاقات حية" بينهم.. فيستعيد بذلك "الجهاز العصبي" للأمة عافيته بعد تعرُّضه لجلطات دماغية فتاكة في الماضي حولت أعضاءه الحيوية إلى أشلاء من لحم وعظم. في هذا السبيل نشهد "ميلاد مجتمع" فريد لا تقوم روابطه ولا تُفتل حبائله على أساس المصلحة والمنفعة، أو النسب والمصاهرة فحسب، بل هو مجتمع غريب كل الغرابة عن هذا النمط من العلاقات البدائية، فرحمه "رحم همّ"، ونسبُه نسب "قضية وتوتر".. ولعلّ

كلما نُقِض غزل "العلاقات الاجتماعية الحية" في مجتمع بَني الإنسان ازداد قربًا إلى البهيمية، وكلما ازدادت حبائل علاقاته فتلاً ومتانة اعتلى عرش الإنسانية، وصار "قابلاً للرشد"، و"خلافة الله"، و"وراثة الأرض".

حراء

أعتى المعارك وأشدها ضراوة على الإطلاق، ستكون "ملحمة الصمغ والتلاحم"، فعدوُّها في الداخل جاثم على أوكار من الأنانيات الضيقة، والعرقيات الحَولاء، والمصالح الشخصية؛ وهو يشحذ سكينه الحاد ليقطع حبائل هذا النسيج ويمزّقه كلَّ ممزّق.

إن "رجل ما قبل الحضارة" و"وليّ الحق اللدني" لن يستطيع الثبات على "تلة الرماة"[٦] وفي ركْب "الصابرين والصادقين وفدائيي التوافق"، إلا بعقل متقد، وقلب منفتح متبتل لربه.. فإن وقود "الصبر والصدق والصمغ"، وزاده مكنون في مدد رباني وإمداد سماوي، وإن جيلَنا ما لم يتب إلى الله توبة جماعية نصوحًا من الاستعلاء والاستغناء عن اتباع الأسباب، و"معصية" استعجال الثمار، و"كبيرة" الحرص على الأنانيات الفردية والجماعية، فإن "المدد الرباني" سيمسك قطره، وحبيبنا "رسول الله" سيُرسل دمعَه باكيًا، حليمًا، متأوّهًا لحالي وحالك وهو يقول: "يا رب أمتي.. أمتي". ■

(*) كاتب وباحث جزائري.

الهوامش

(١) ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ص:٣٧.

(٢) ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص:٦٣.

(٣) ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص:٣٤.

(٤) شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ص:٧٦.

(٥) ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص:٦٣.

(٦) مفهوم "تلة الرماة"، محمد باباعمي، موقع فيكوس.

hiragate.com

جمال أمين*

أفراح

أيتها الأقدار الجميلة الحانية، لا تدعي قلبي في مهوى نسائم الحسن، لا تتركيه فريسة لسيطرة الجمال، لا تدعي جاذبية الطبيعة تعلق فيه أرسانها وتلجمه بخلابتها، فتجذبه متى شاءت لأن فيه روح المنجذب، وتعصره متى شاءت لأن فيه روح الليونة، وتشرّده متى شاءت لأن فيه روح الهيمان، وتصنع أحزانه الجديدة من أحلامه القديمة لأن فيه روح الغربة الروحية.

لكنكِ فعلت وأسلمتيه إلى فاتنة مسحورة، لأنها جنة.. ساحرة لأن في لمساتها روح الحب والصبابة.. تركتيه يهيم على وجهه في منفلق طودين أخضرين عظيمين، وراء كل منهما جنات معروشات، تصطف فيها أشجار غيناء فينانة وكأنها عذارى قائمات تحت جلال الكون، حافّات حول عرش الطبيعة المزدان. تركتيه يناجي ويقول: ها قد قدمت إليك مرة أخرى يا حبيبتي، متبعًا مكدودًا قد جف قلبه وغلظ فؤاده.. جئت إليك لتمسحي بجمالك أثر القسوة من حياتي، ولتسقي بقلبك الريّان قلبي الجديب، ولتبصّ فيه من شعلتك الوهاجة شعاعة نور، تنير له الحياة وتشد من أطرافه المتداعية، فيمضي نابِهَ القلب بوفرة إيمان يتوقد.

تلك أشجار، وهذه ورود، وتلك سماء، وهذه قطعان سحب، وتلك شمس، وهذه رائحة الزهر.. فيا أيتها الأشجار أورقي في قلبي فإنه قد جف منذ أيام، وألبسيه من ضبابتك الخضراء فإنه عريان، واسقيه من عصارتك الحية عسى أن يورق بالإيمان ويثمر بالسعادة الحقة.

يا أيتها الورود انفحيه بمسك الخلود العاشق، وامنحيه من ابتسامتك الفتية، ولوّني قلبه بنضرتك الزاهية، عسى أن يرى أيامه ورودًا تليها ورود.. ويا أيتها السماء الصافية الأديم، إن زرقتك الزجاجية الراكدة سيل جمال، يصب من الغيب إلى قلوب العشاق، فامنحينا منها قطعة يتنضر بها فؤادي، ويتغير بها شعوري نحو الوجود، وأكسب من صفائها صفاء العيش في رحلتي الأرضية المحدودة.. ويا قطعان السحب المرحة في جو السماء، أما تمنحيني دفقة من مُزنك الطاهر يغسل خواطري، ويشعرني بروح الماء العذب في هجير الحياة؟ ويا أيتها الشمس المشرقة بنور ربها، ما أسعدني لو منحتني شعاعة من نورك المبتسم، تعلق بفؤادي ليقتات منها إيماني، ولتكون حياتي مبصرة أمام كل دجنة سوداء.. أما أنت يا رائحة الأزهار فحسبي منك أن تكللي نشوتي بأفراح روحي.

تلك مظاهر الحسن في حبيبتي المسحورة، حقول وراء حقول، أشجار وراء أشجار، ورود وراء ورود، طيور في السماء وراء طيور.. حتى أشعة الشمس الضاحية قد انساحت بنورها، وانبسطت في فتنة ودلال تغازل أفراحها منثورات روضتي البديعة.

في كل نظر منظر، وفي كل منظر فكر، وفي كل فكر شعور، وفي كل شعور سعادة إيمانية، وتحت السعادة الإيمانية يجري نهر السر الأعظم: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(طه:٧). ■

(*) شاعر وأديب مغربي.

أبو نصر شخار*

حركية وأخلاق النخبة العلمية

لعل في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾(التوبة:١٢٢)، إشارة إلى الطبيعة الجماعية لعمل النخبة في الأمة. فالنخبة العلمية للأمة، تمثل جماعة نفوذ معرفي تقود الرأي العام إلى الخير والحق، وبفعل هذا النفوذ تُراكم النخبة سلطة معرفية متضخمة، تحتكر بها -بمرور الأيام- سلطة الفكر وحتى التفكير أحيانًا. وهذا الوضع ذو حدين؛ فإما أن يؤول إلى استقرار الجانب الفكري للأمة، وازدهار الفكر والعلم فيها، بفعل اهتمام النخبة الدائم بالمنظومة التعليمية والرقي المتواصل بالبحث والاكتشاف، وإما أن يؤدي إلى فساد معرفي طافح، فيُتوسل بتلك السلطة المعرفية إلى أغراض مصلحية أو سلطوية أو طائفية، ويرتعي في تلك السلطة المعرفية المفسدون والمتعالمون والانتهازيون النفعيون.

وهذه السلطة المعرفية الفاسدة، تتكون في المجتمعات بطريقة تلقائية بفعل تقاطع المصالح والنفوذ، وبخمول النخبة الحقيقية وسلبيتها. ولعل الترياق الأمثل -الذي يضمن تشكيل نخبة معرفية لها الأثر الإيجابي على رقي المجتمع، وعصمة العقل

إن ضمان تطور عمل الجماعات العلمية، هو عدم اللجوء إلى السلطة الحاكمة لترجيح الآراء عبر فرضها بقوة الإعلام أو الترغيب والترهيب، وكذلك عدم اللجوء إلى الشعب لمحاكمة الأفكار من خلال تكثير الأتباع، وإنما يجب فحصها ضمن الأقران الملتزمين بالنقد المنهجي الصارم.

الجمعي من أفكار الجهلة والانتهازيين- يمكن تلخيصه في "حركية النخبة ضمن جماعة علمية يحكمها نسق معرفي واضح تحت سقف من الأخلاق العلمية".

فقد لخّص لنا بروفيسور -كنت أحضر له مادة النظريات التربوية الغربية- الفرق الحاسم بين النخبة العلمية في بلاد متقدمة، ومثيلتها في بلاد متخلفة في "حركية النخبة"؛ ففي البلاد المتقدمة في البحث العلمي، تتميز النخبة بتدافع رهيب وحركية لا تخمد، حتى إن دراسة أمريكية[1] عن أثر حاملي جوائز نوبل على طلبتهم، بيّنت أن من أهم القيم التي ينقلها أولئك الأساتذة إلى طلبتهم؛ "القسوة" في نقد الأعمال الذاتية وأعمال القرناء في مجال البحث. وهذا الخلُق العلمي الصارم الذي ينفي المجاملات، يجعل الأفكار دائمة التطور والتجدد، فلا تلبث الأفكار السقيمة طويلاً في الساحة العلمية، وفي المقابل نجد في بعض البيئات العلمية الراكدة، تكريسًا للرداءة تحت شعارات الاحترام والمجاملات والأقدمية في العلم، إلى حد التقديس.. ويتخذ الأمر في بعض الأحيان اتجاهًا إفساديًّا، بحيث تنتقى الأوراق العلمية "بالواسطات" والنفوذ المالي، ويستدعى إلى المؤتمرات بحجم العلاقات والمنصب المالي وموافقة السائد في المجتمع، وغير ذلك من الاعتبارات التي أفسدت عمل النخبة[2].

فكيف تتشكل الجماعة العلمية؟ وما هي الاعتبارات الأخلاقية الحاكمة فيها؟ وما هي الأنساق المعرفية التي تجمعها وتضمن تماسكها وتكاملها؟ وكيف تتدافع تلك الجماعات في مسيرة البحث؟ وكيف يمكن الاستفادة من تلك التجارب في بلداننا؟

ليست النظرة إلى العمل البحثي الجماعي أمرًا محدثًا، ولكن الجديد أن يُعتبر العلم ظاهرة اجتماعية. فقد أكد "توماس كون" أن العلم ليس ظاهرة فردية، وإنما ظاهرة اجتماعية تتظافر فيه جماعة علمية تتقاطع في البارادايم[3]. ولعل هذا الطرح كان نتيجة لما انتهت إليه الثورة العلمية الواسعة، فأصبحت فروع المعرفة أوسع وأعمق من أن يستوعبها ذهن موسوعي، وإن حصل فسيكون استيعابًا بالفهم لا يرقى وحيدًا إلى درجة التوليد والابتكار، ولعل من دلائل ذلك انتهاء ما يعرف بالفلاسفة النسقيين الذين يبنون لأنفسهم نظرًا فلسفيًّا لكل فروع الفلسفة المعروفة.

فهذه النظرة الجديدة -نسبيًّا- للعلم، جعلت الهوة في الأبحاث العلمية في تسارع رهيب، ويصعب تدارك الأمر دون تغيير نظرتنا لدور النخبة، ونمط تفاعلها. والذي يزيد الأمر تعقيدًا، أن تغيير تلك النظرة يستدعي تغيير كثير من الذهنيات والعادات الاجتماعية والبيئة السياسية وغير ذلك.

ويؤرخ البعض لأول ظهورٍ للجماعة العلمية في العصر الحديث -بمعناها المعاصر- بإنشاء الجمعية الملكية في بريطانيا، وأكاديمية العلوم في باريس في القرن السابع عشر. وقد نقبل بهذا التاريخ مع الأخذ في الاعتبار معنى خاصًّا للجماعة العلمية، وإلا فإننا نطالع في التاريخ البشري أنماطًا من البحث العلمي الجماعي، كالمدارس الفقهية والمدارس الفلسفية.

وتتشكل الجماعة العلمية على أسس أخلاقية وأخرى معرفية (البارادايم)، وتشتهر في الغرب منظومة قيمية من أربعة أركان تضبط حراك النخبة العلمية وعلاقاتها. وهذه القيم تتشارك النخبة في حمايتها من خلال نظام الحوافز كالترقيات والحفاظ على الملكية الفكرية، ونظام الاحتجاج والنقد كالصرامة ضد عمليات الانتحال، وتتبع عمليات الاستكثار من البحوث الغثائية، واستغلال المنصب.. وهذه القيم[4] هي:

١- الشمولية: وتعني عدم اعتبار الاختلافات العرقية والدينية والجنسية في العملية البحثية، وذلك بإعطاء الأولوية للمعرفة. وهذه القيمة قد تزهو وتخفت في المجتمع الغربي ونظرته الدونية للعوالم الأخرى،

hiragate.com

ولكنها نسبيًّا محترمة جدًّا عندهم. وهي سبب استقطاب أعداد غفيرة من أذكى أذكياء العالم للانتفاع مما عندهم، وشهادات كثير من الإخوة الأعضاء في الجماعات العلمية، تؤكد مراعاة هذه القيمة.

٢- عدم احتكار المعرفة: بحيث يتواضع الجميع على لزوم نشر الاكتشافات والأبحاث، وعدم أحقية باحث أن يمنع غيره من بناء العمل البحثي عليها، مقابل أن تُحفظ له حقوق الملكية الفكرية والاعتراف في الوسط العلمي "الحافز"، كما أنه يُنفر ويُقصى كل من يتعمد احتكار المعرفة "الرادع". ويبدو أن هذه القيمة تتعلق مباشرة بنظام الحوافز والردع، وبالحماية القانونية للملكية الفكرية، ولهذا تجد الكل يتسابق لنشر نتائج أبحاثه ليحظى بالاعتراف، ولكن للباحث الحق في احتكار التطبيقات الواقعية والتربح منها حسب منظومة قانونية مضبوطة.

٣- النزاهة العلمية: ويدخل في ذلك عدم اتباع الطرق الملتوية للترقيات على حساب الفريق أو الشهرة، وخاصة في الاعتراف بعمل فريق البحث، وعدم استئثار رئيس الفريق بعوائد البحث.

٤- الاستعداد الدائم لقبول النقد: من خلال الحفاظ على الشك المنهجي، وهذا الأمر متعلق بالبيئة النقدية المستمرة التي تحيط بتلك الجماعات العلمية، حتى لخّص "كارل بوبر" الرشد العلمي في أنه الاستعداد للإصغاء للنقد والتعلم من الخبرة. ولكن التاريخ العلمي يبيّن لنا وجود علماء كثيرين صعب عليهم ترك نموذجهم المعهود، إما لعدم القناعة المنهجية لتغير النموذج كليًّا، وإما لاعتبارات دينية أو أيدولوجية أو اجتماعية، وبعضها تعتبر قيودًا أخلاقية محترمة، وتزداد حساسية هذه الأمور، كلما اقتربنا أكثر من الدراسات الدينية. ومما يؤسف له، أن تتحكم في بعض باحثينا أفكار أيدولوجية (تيارية) توجّه تفكيرهم كليًّا إلى بعض الاختيارات المحددة مسبقًا، وهذه من أهم العوائق التي يجدها الباحثون في الانضمام إلى بعض الجماعات "العلمية" الموجهة.

وأوضحت الدراسة التي أشرنا إليها آنفًا، أن أهم

إن النخبة العلمية للأمة، تمثل جماعة نفوذ معرفي تقود الرأي العام إلى الخير والحق، وبفعل هذا النفوذ تُراكم النخبة سلطة معرفية متضخمة، تحتكر بها -بمرور الأيام- سلطة الفكر وحتى التفكير أحيانًا.

دور يقوم به الأساتذة في مرحلة الدراسات العليا، هو نقل هذه القيم إلى أجيال الباحثين، وهو أهم من نقل المعارف المجردة؛ فالأستاذ معنيّ أن ينقل لطلبته تقاليد البحث العلمي وأخلاقه، والانضباط المنهجي، والاجتهاد، والصرامة في نقد الأعمال الشخصية وأعمال القرناء من غير مجاملة ولا محاباة.

ويرى "توماس كون" أن ضمان تطور عمل الجماعات العلمية، هو عدم اللجوء إلى السلطة الحاكمة لترجيح الآراء، عبر فرضها بقوة الإعلام أو الترغيب والترهيب، وكذلك عدم اللجوء إلى الشعب لمحاكمة الأفكار من خلال تكثير الأتباع، وإنما يجب فحصها ضمن الأقران الملتزمين بالنقد المنهجي الصارم. وهذه الاستقلالية في الواقع، تتعرض لتحديات كثيرة، والجماعة العلمية معنيّة بحماية نفسها.

ولعل من أهم أسباب الاستقلالية العلمية، الاستقلالية المالية، بحيث لا تتعرض المجموعة العلمية لابتزاز السلطة أو الشركات التجارية. ولهذا دأبت كثير من الجامعات العريقة إلى تطوير نظام الوقف الذي يضمن لها استقلالية مالية، وأريحية في تمويل البحوث، ولتتفاوض من موقف قوة مع عروض الشركات لتمويل الأبحاث. كما أن المناخ السياسي الديموقراطي، يسمح باستقلاليةٍ أكثر لهذه التجمعات العلمية، فأصول أوقاف جامعة "هارفارد" -مثلاً- بلغت حوالي ٣٢ مليار دولار في عام ٢٠١١، وأوقاف جامعة "ييل" تبلغ حوالي ٢٠ مليار دولار، هذا من غير مدخلاتها من تمويل الشركات للبحوث العلمية ومن رسوم الدراسة. ولهذه الجامعات شركات متخصصة في تثمير تلك الأوقاف، وتبلغ العوائد السنوية لبعض الجامعات على أوقافها حوالي ١٠٪، وهذا كله يعطي للمجتمع العلمي أريحية مالية

hiragate.com

وحرية بحثية.

فهل يتمكن المسلمون من الانطلاق بجد في تكوين نواة لهذه الجماعات العلمية في الميادين العلمية والإنسانية، وحتى في الأبحاث الشرعية والحضارية، على أن تحكم هذه الجماعات العلمية نماذج معرفية تستند أساسًا إلى حاكمية الوحي الخالص، وإلى منهجية بحثية نقدية صارمة، وتخضع لمنظومة أخلاقية يتعاون الباحثون على حمايتها بالحوافز والروادع لتناقش كثير من المعضلات التي تشغل الأمة؛ كالأزمة الحضارية، والمنهج العقدي، والتعامل مع الرواية وحدود الدائرة التشريعية، ومحاكمة الاجتهادات السابقة لمنهجية علمية صارمة؟ ولنا في الوحي الإلهي المنظومة الأخلاقية الأرسخ للتعامل مع هذه التحديات. ■

(*) كاتب وباحث جزائري.

الهوامش

(١) Harriet Zuckerman, Scientific Elite: Nobel Laureates in The United States, 1977.

وقد أوردت الدراسة بعض التفاصيل عن العلاقة الاجتماعية بين أعلى نخب القرن العشرين وطلبتهم.

(٢) وأوضح مثال -في نظري- لهذا الأمر، هو ما يحدث في مؤتمرات المالية الإسلامية من هيمنةٍ لبعض الشخصيات واحتكارها للمناصب والنفوذ، وكذا الانتقائية الواضحة للأوراق حسبما يخدم سياسة البنوك. ويشير الدكتور عبد العظيم أبو زيد إلى إشكالية هذه المؤتمرات، بعد أن بيّن هدفها الدعائي وعدم جدية أوراقها ومحاباتها للمتّفقين مع منهج عملها، يقول: "وهذه النوعية من المؤتمرات التي شاعت كثيرًا في الفترة الأخيرة، قد تركت آثارًا معرفية سلبية بالغة، لأن من شأنها أن تخضع لإملاءات الرعاة، وتفرض على الفكر المعرفي اتجاهًا بعينه يمليه واقع السوق المحكوم بالربحية والمصالح المادية، كما أنها تصنع نجوم مؤتمرات لا باعتبار الكفاءة والوزن العلمي أو الإسهام الفكري، بل باعتبار الوزن السوقي لهؤلاء، وهو المحكوم بالتقاء فكرهم مع مصالح السوق"، تشخيص حالة التمويل الإسلامي، عبد العظيم أبو زيد، ص:١١٦-١١٨.

(٣) يعني مجموعة القوانين والمنطلقات والأدوات المنهجية، والتي يمارس الباحثون بحوثهم على ضوئها. بنية الثورات العلمية، توماس كون.

(٤) Janet D. Stemwedel, Basic Concepts: The Norms of Science.

تضرُّع أمل

بيضتَكِ الوحيدةَ احْضُني،
ورأسَكِ إلى السماء ارْفعي،
واشتكي، وتضرّعي..
من كاسر لا يرعوي،
عن خطْف فرخك..
إذا البيضةَ نقف،
ومنها إلى العالم خرج؛
فاصبري وصابري،
ومن أجله تحمّلي،
والأملَ لا تقطعي.

* * *

د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح*

التوازن في شخصية الرسول ﷺ

شهدت البشرية في تاريخها الطويل انفصالاً بين المُثُل والواقع، بين المقال والفعال، بين الدعوى والحقيقة.. وكان دائمًا المثال والمقال والدعوى، أبرزَ من الواقع والفعال والحقيقة.

وهذا شيء يعرفه من له أدنى معرفة بالتاريخ والحياة. غير أن هذه الظاهرة مفقودة في واقع الرسل وأتباعهم، فهم وحدهم الذين دعوا الإنسانية إلى أعظم قمم السمو، ومثلوا بسلوكهم العملي، هذه الذروة بشكل رائع مدهش[1].

وظهور هذا التوازن في حياة رسول الله العملية، كان على أعلى ما يخطر بقلب بشر؛ فهو العابد والزاهد والمجاهد والزوج، والذي ما كان يأمر بخير إلا كان أوّل آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أوّل تارك له.

فعن عبادته تقول السيدةُ عائشة ﵂: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غُفر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ قال:

لقد سجل لنا التاريخ سير آلاف المصلحين والزعماء الذين عاشوا مناضلين من أجل فكرة أو مبدإ أفاد شعوبهم أو الإنسانية بعامة، ولكن لم تجتمع كل المبادئ الطيبة إلا في شخص الرسول ﷺ، في البيت والقيادة والأخلاق والعبادة وسائر أوجه الحياة التي استنارت بمبعثه.

"أفلا أكون عبدًا شكورًا". (رواه البخاري)

وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله يُفطر من الشهر حتى نظن ألاّ يصوم منه شيئًا، ويصوم حتى نظن ألاّ يُفطر منه شيئًا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلّيًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته. (رواه البخاري)

وعن زهده يروي الإمام أحمد عن عائشة ﷺ قالت: دخلت عليّ امرأة من الأنصار، فرأت فراش النبي عباءةً مثنيةً، فرجعت إلى منزلها فبعثت بفراش حشوُه الصوف، فدخل عليَّ رسول الله فقال: "ما هذا؟" فقلت: فلانة من الأنصار دخلت عليَّ فرأت فراشك، فبعثت إليّ بهذا. فقال: "رُدِّيه". فقلت: فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي؟ حتى قال ذلك ثلاث مرات، ثم قال: "يا عائشة رُدّيه، فوالله لو شئتُ لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة". قالت: فرددته. (رواه مسلم)

وهو إمام الزاهدين الذي ما أكل على خوان قط، وما رأى شاة سميطًا قط، وما رأى منخلاً منذ أن بعثه الله إلى يوم قُبض. ما أخذ من الدنيا شيئًا، ولا أخذت منه شيئًا، وصدق إذ يقول: "ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" (رواه الترمذي).

وأما عن شجاعته وجهاده فيروي أنس ﷺ يقول: كان النبي أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي، قد سبق الناسَ إلى الصوت وهو يقول: "لَمْ تُراعوا، لَمْ تُراعوا"، وهو على فرس لأبي طلحة عريّ ما عليها سِرْج، في عنقه سيف، فقال" "لقد وجدته بحرًا" (رواه البخاري).

وفي صحيح مسلم: جاء رجل إلى البراء فقال: أكُنتم ولَّيتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولَّى... دعا واستنفر وهو يقول: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزِّل نصرك".

قال البراء: كنَّا والله إذا احمر البأس نتَّقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبيّ ﷺ".

وعن علي ﷺ قال: كنا إذا احمرَّ البأس ولقيَ القومُ القومَ، اتقينا برسول الله، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه.

ولولا خوف الإطالة لسردنا شمائله ﷺ التي نادى بها، وعلّمها أمته، وكان أول الممارسين العاملين بها.

الصدق صفة أساسية لا بد أن يتمتع بها صاحب الرسالة. هذا الصدق لا بد أن يكون مطلقًا لا ينقض في أي حال، بحيث لو امتحن صاحب الرسالة في كل قول له، لكان مطابقًا للواقع إذا وعد أو عاهد أو جد أو داعب أو أخبر أو تنبأ.

وإذا انتقضت هذه الصفة أيَّ نقضٍ، فإن دعوى الرسالة تنتقض من أساسها؛ لأن الناس لا يثقون برسولٍ غير صادق، والرسول الصادق لا تجد في ثنايا كلامه شيئًا من الباطل في أيّ حال من الأحوال.

ولقد كان الصدق من أوضح السمات في شخصية رسول الله ﷺ، وكفى دلالة على هذا الصدق أن قومه لقّبوه بـ"الصادق الأمين"، بل إن أول انطباع يرسخ في نفس من يراه للمرة الأولى، أنه من الصدّيقين.

فعن عبد الله بن سلام قال: لمّا قدم النبيُّ المدينة انجفل الناس عليه، فكنت فيمن انجفل، قال: فلما تبيّنتُ وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، فكان أول شيء سمعته يقول: "افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام" (رواه أحمد).

فهو الصادق في وعده وعهده؛ فعن عبد الله بن أبي الخنساء قال: بايعت النبيَّ قبل أن يبعث وبقيتْ له بقية، فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه، فقال: "يا فتى، لقد

hiragate.com

شققت عليّ، أنا ها هنا منذ ثلاثٍ انتظرك" (رواه أبو داود).

وبعد غزوة حنين، جلس رسول الله يقسم غنائم هوازن، فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعدًا يا رسول الله، قال: "صدقت، فاحتكم ما شئت"، قال: أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها. قال: "هي لك، واحتكمتَ يسيرًا"[٢].

وأخرج الحاكم عن حويطب بن عبد العزى في قصة إسلامه، أنه عندما كان مشركًا، تولى مطالبة الرسول عن مكة في عمرة القضاء بعد انقضاء الثلاثة أيام المتفق عليها، يقول حويطب: ولما قدم رسول الله لعمرة القضاء وخرجت قريش من مكة، كنتُ فيمن تخلف بمكة أنا وسهيل بن عمرو، لكي نُخرج رسول الله إذا مضى الوقت، فلما انقضت الثلاثة أقبلت أنا وسهيل بن عمرو فقلنا: قد مضى شرطك فاخرج من بلدنا، فصاح: "يا بلال، لا تغب الشمس وواحد من المسلمين بمكة ممن قدم معنا" (روام الحاكم).

وما حدث أن وعد رسول الله أو عاهد فأخلف أو غدر، ولقد روى البخاري: أن هرقل لما سأل أبا سفيان عن محمد: هل يغدر؟ أجاب: لا، فقال هرقل بعد ذلك: وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر. بل إنه لا يحيد عن الصدق ولا حتى مجاملة لأحد.

فعن عبد الله عمرو بن العاص ﷺ قال: كان رسول الله يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ، حتى ظننت أني خير القوم، فقلت: يا رسول الله، أنا خير أم أبو بكر؟ فقال: "أبو بكر"، فقلت: يا رسول الله، أنا خيرٌ أم عمر؟ فقال: "عمر"، فقلت أنا خير أم عثمان؟ فقال: "عثمان". فلما سألت رسول الله فصدقني، فلوددت أني لم أكن سألته.

وحتى في أوقات الدعابة والمرح، حيث يتخفف الكثيرون من قواعد الانضباط، كان رسول الله الصادق في مزاحه؛ فعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا! قال: "إني لا أقول إلا حقًّا" (رواه الترمذي).

ومن أبلغ وأجمع الكلمات التي وصفت أخلاق رسول الله، ما قالته السيدة عائشة ﷺ: "كان خُلُقه القرآن". ولقد كانت هذه الأخلاق من السموّ والتوازن

الصدق صفة أساسية لا بد أن يتمتع بها صاحب الرسالة. هذا الصدق لا بد أن يكون مطلقًا لا ينقض في أي حال، بحيث لو امتحن صاحب الرسالة في كل قول له، لكان مطابقًا للواقع إذا وعد أو عاهد أو جد أو داعب أو أخبر أو تنبأ.

حراء

ما جعل تواضعه لا يغلب حلمُه، ولا يغلب حلُمُه برّه وكرمه، ولا يغلب برُّه وكرمه صبره.. وهكذا في كل شمائله صلوات الله وسلامه عليه، هذا مع انعدام التصرفات غير الأخلاقية في حياته.

فعن تواضعه يروي أبو نعيم في دلائل النبوة عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله من أشد الناس لطفًا، والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا أمة ولا صبيّ، أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه، وما سأله سائل قط إلا أصغى إليه أذنه، فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده إلا ناوله إيّاها، فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه.

وعن حلمه يقول حجة الإسلام الغزالي: كان ﷺ أحلم الناس، وأرغبهم في العفو مع المقدرة. يروي البخاري يوم حنين، ورسول الله يقسم الغنائم، فقال رجلٌ: إن هذه لقسمة ما عُدل فيها وما أريد بها وجه الله. فقلت (أي عبد الله راوي الحديث): والله لأخبرنَّ رسول الله. فأتيته فأخبرته، فقال: "من يعدلُ إذا لم يعدلِ الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر".

وعن كرمه يروي الشيخان عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: ما سُئل رسول الله شيئًا قط فقال لا. وأخرج أحمد عن أنس أن رسول الله لم يسأل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه، قال: فأتاه رجل فأمر له بشاه كثير بين جبلين من شاه الصدقة، فرجع الرجل إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة" (رواه مسلم).

وأخرج مسلم أنه في غزوة حنين: وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة.. وأن صفوان قال: لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى

hiragate.com

إنه لأحب الناس إليّ" (رواه مسلم).

يقول حجة الإسلام الغزالي: وكان أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، ولا يُسأل شيئًا إلا أعطاه.

وفي صحيح البخاري: عن أنس، كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرد نجرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عانق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفتُّ إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

وفي سنن النسائي وأبي داوود: عن رجل من بني أسد قال: نزلت أنا وأهلي ببقيع الغرقد، فقالت لي أهلي: اذهب إلى رسول الله ﷺ فسله لنا شيئًا نأكله، فذهبت إلى رسول الله ﷺ فوجدت عنده رجلاً يسأله ورسول الله ﷺ يقول: "لا أجد ما أعطيك"، فولّى الرجل عنه وهو مغضب وهو يقول: لعمري إنك لتعطي من شئت، قال رسول الله ﷺ: "إنه ليغضب عليّ أن لا أجد ما أعطيه، من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافًا". قال الأسدي: فقلت: للقحة خير لنا من أوقية، والأوقية أربعون درهمًا، فرجعت ولم أسأله، فقدم على رسول الله ﷺ بعد ذلك شعير وزبيب، فقسم لنا منه حتى أغنانا الله ﷻ.

فرغم ما حباه الله به من الحلم والرأفة، إلا أنه الحلم والرأفة التي لا تجاوز حدها، فكان يغضب للحق إذا انتهكت حرمات الله، فإذا غضب فلا يقوم لغضبه شيء حتى يهدم الباطل وينتهي، وفيما عدا ذلك فهو أحلم الناس، عن جاهل لا يعرف أدب الخطاب، أو مسيء للأدب، أو منافق يتظاهر بغير ما يبطن.

ولما نكث بنو قريظة العهد وتحالفوا مع الأحزاب على حرب المسلمين ثم رد الله كيدهم في نحورهم وأمكن الله رسوله منهم، رضوا بحكم سعد بن معاذ، كما رضيه رسول الله ﷺ، فحكم سعد أن تقتل رجالهم، وتسبى نساؤهم وذراريهم، فتهلل وجه الرسول وقال: "لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات" (رواه مسلم)، فقتل رسول الله منهم في يوم واحد أربعمائة رجل.

وروى ابن إسحاق في قصة أسرى غزوة بدر، قال: ومنهم أبو عزة الشاعر، كان محتاجًا ذا بنات، فقال: يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدًا. فقال أبو عزة في ذلك شعرًا، يمدح به رسول الله ﷺ.

ثم إن أبا عزَّة هذا، نقض ما كان عاهد عليه الرسول، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم، فلمَّا كان يوم أحد أُسر، فسأل النبي أن يمنّ عليه أيضًا، فقال النبي: "لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدًا مرتين"، ثم أمر به فضربت عنقه.

وعن المِسْوَر بن مخرمة، أن عليّ بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليّ ناكح ابنة أبي جهل.

قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعته حين تشهّد ثم قال: "أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد مضغة مني، وإنما أكره أن يفتنوها، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا". قال، فترك عليٌّ الخطبة. (رواه مسلم)

إنه الليّن في غير ضعف، والشدة في غير عنف، فصلوات الله وسلامه عليه. لقد سجل لنا التاريخ سير آلاف المصلحين والزعماء الذين عاشوا مناضلين من أجل فكرة أو مبدإ أفاد شعوبهم أو الإنسانية بعامة، ولكن لم تجتمع كل المبادئ الطيبة إلا في شخص الرسول ﷺ، في البيت والقيادة والأخلاق والعبادة وسائر أوجه الحياة التي استنارت بمبعثه، فصلوات الله وسلامه عليه في الأولين والآخرين. ■

(*) الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة / المملكة العربية السعودية.

الهوامش

(٢) الرسول صلى الله عليه وسلم، سعيد حوّى، ص:٥٥.

(٢) الرسول صلى الله عليه وسلم، سعيد حوّى، ص:٣٧.

hiragate.com

أ.د. حسن الأمراني*

متـاب

لبّيـكَ لبّـيكَ، إني جئـتُ مُؤتـزرا ... مِـن الثّيـابِ متابًا كـان منحـسرا
مـوْلاي مـرّتْ سنيـنُ العمْـرِ لاهيـةً ... ظهْـر المدى، واللّيالي تقصف العُمُرا
كـمْ سيَّـرتْ أمنيـاتُ الوهْـمِ مركبتي ... فـي بحْـرِ غـيٍّ فلـم أدرك بـه دُرَرا
وكـمْ دفعْـتُ إلـى التيّـار قافيتـي ... جهـلاً ولـمْ أقتبس من "سورة الشُّـعرا"
وكـم حملـتُ علـى الأهـواءِ قافلـتي ... فلـم أنـلْ مـن بساتيـنِ الهـوى ثمـرا
وكـم بنيْـت قصُـورًا كنـتُ آمَنُهـا ... وأسُّـهـا، يـا لجهْـلي، كان طيـفَ كـرى
فمـا ظفِـرْتُ بفَـيْءٍ أستظـلُّ بـه ... إلا السّديـم يناجـي الرّيـحَ والمطـرا
مـوْلاي، طاشـتْ سهـامٌ كنت أحْسبُها ... لـي عُـدّةً فـإذا سهْمـي قـد انكسـرا
وهـا أنـا جئْتُ قـدْ مُـدّتْ إليكَ يدي ... مـن بعدمـا زار ذاتي الشّيـبُ وانتشرا
مـوْلاي لبّيْـكَ إنـي جئـتُ ملتمسًـا ... لديْـكَ مغفِـرةً يـا خيـرَ مـن غَفَـرا

(*) رئيس تحرير مجلة المشكاة / المغرب.

حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

Wissenschaft, Kultur und Literatur Zeitschrift

مجلة علمية ثقافية أدبية

تصدر كل شهرين عن دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع

Hira ist eine, durch die Daralnile Druck und Vertag zweimonatlich herausgegebene, Wissenschaft, Kultur und Literatur Zeitschrift

رئيس التحرير

هانئ رسلان

Haupteditor
Hani Raslan

مدير التحرير

إسماعيل قايار

Redaktionsleiter
İsmail Kayar

المخرج الفني

قسم التصميم بدار النيل

Grafik-Design
Daralnile Grafik-Team

منسق الاشتراكات

علاء الكوابري

Abonnenten Koordinator
Ala Alkavabiri
+201000780841
+201023201002

نوع النشر

مجلة دورية تصدر كل شهرين

Ausgabeart
zweimonatlich

الطباعة

دار الجمهورية للصحافة

Druck
Cumhuriyet gazetecilik Verlagshaus

رقم الإيداع

٢٤٢٦١

Ziffer IDA
24261

ISSN 2357-0229

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

EGYPT
٣٧ شارع د. عبد الشافي محمد – الحي السابع، مدينة نصر – القاهرة.
هاتف: +201091242075 - +201119482609
hiraegypt@gmail.com

SAUDI ARABIA
الوطنية للتوزيع: المكتب الرئيسي: ١٨٢ حي الازدهار، طريق عثمان بن عفان، الطابق الثاني، المكتب رقم ٦، ص.ب: 68761 الرياض: 12537
Phone: +966 11 4871414
الجوال: +966507570864
Fax: +966 11 4943213

MOROCCO
الدار البيضاء ٧٠ زنقة سجلماسة
Société Arabo-Africaine de Distribution, d'Edition et de Presse (Sapress)
70, rue de Sijilmassa, 20300 Casablanca / Morocco
Phone: +212 22 24 92 00

LİBYA
دار الرواد، ذات العماد، برج ٤–طرابلس–ليبيا.
هاتف: 00218213350332 - daralrowdooks@gmail.com
هاتف: 00218916125579 - hiralibya@gmail.com

MAURITANIA
Phone: +2223014264

YEMEN
مكتب حراء للنشر والتوزيع
شارع بغداد، مقابل بريد بغداد، صنعاء – اليمن
Phone: +967 1 214774
Fax: +967 1 204494
GSM: +967 736027560

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 22

SUDAN
مركز دار النيل، مكتب الخرطوم
أركويت مربع 48 منزل رقم 31 – الخرطوم – السودان
Phone: 0024 999 559 92 26 - 0024 915 522 24 69
hirasudan@hotmail.com

JORDAN
دار المأمون للنشر والتوزيع، العبدلي، عمارة جوهرة القدس
رقم: 182، مدخل البنك العربي، عمان/الأردن.
Phone: +962 0790316072 / +962 0787581782
hiramagazinejordan@gmail.com

UNITED ARAB EMIRATES
دار الفقيه للنشر والتوزيع
ص.ب. 6677 أبو ظبي
Phone: +971 266 789920

KUWAIT
القبلة، القطعة 51، المبنى 31
مجمع: الهيئة العامة لشؤون القصر، الدور 4.
هاتف: 0096598897271

NIGERIA
.Nusret Educational And Cultural Co. Ltd
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
nusretnigeria@gmail.com

USA
Tughra Books
Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA 345
Phone:+1 732 868 0210
Fax:+1 732 868 0211

EUROPE
World Media Group AG
Sprendlinger Landstrabe 107-109
63069 Offenbach a. Main / Germany
Phone: 069 / 300 34 130
Fax: 069 / 300 34 105
dergiler@wmgag.eu

إبحار في ذكريات السلطان عبد الحميد الثاني..

رؤية تاريخية مغايرة.. مواقف وتحليلات لأحداث ذلك العهد..

الكشف عن خبايا الوقائع والأحداث بكل شفافية..

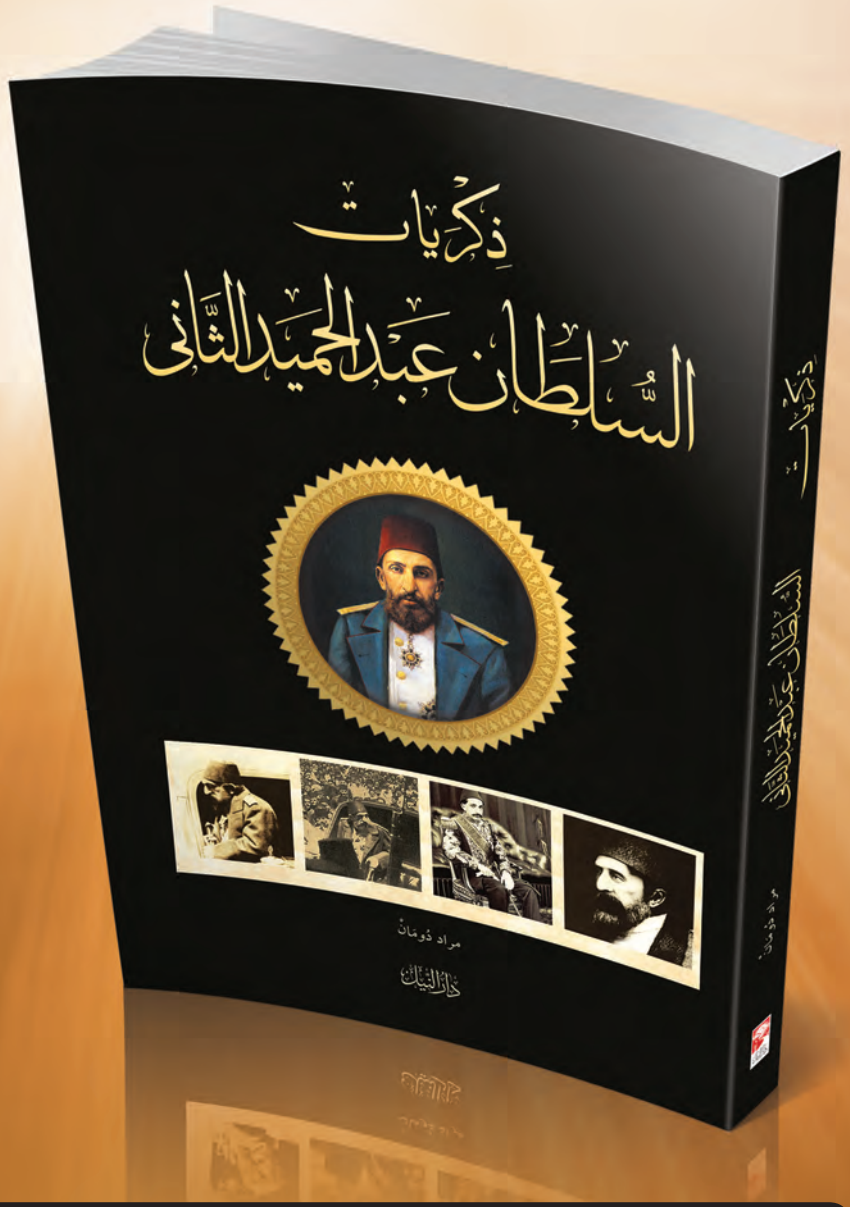

دار النيل : ٢٢ ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي - التجمع الخامس- القاهرة الجديدة - مصر

تليفون وفاكس : 5-20226134402+ الهاتف الجوال : 201000780841+

daralnile@daralnile.com

www.daralnile.com

شمس الروح

يا شمس أرواحنا لا تغيبي، وعنَّا لا تحتجبي..

إنْ غبتِ يومًا، بدا في الأفق القمر،

وطاب الليل والسهر،

وَوَلَّى الحزن والملل،

وعاد الوصل والأمل.

* * *

ISSN 2357-0229
54
9 772357 022004
www.hiragate.com

السعر في المملكة العربية السعودية: ١٢ ريالا سعوديا • اليمن: ٣٧٥ ريالا يمنيا • المغرب: ٢٠ درهما • الجزائر: ٢٥٠ دينارا
Europe: 5.30 € • USA: 5 $